٢٩٨

HARLEQUIN

روايات احلام

هروب... إلى النسيان

مارغريت واي

هروب... إلى النسيان

اكتشف النبيل «اش ماكينون» ملك تربية المواشي، ضيفة غير مدعوة في حفل زفاف عائلي... إنها الصديقة السابقة للعريس! فتصرف بسرعة ليحول دون وقوع كارثة، وادّعى أن الجميلة «كريستي باركر» هي ضيفته، وأنها المفاجأة التي أحضرها للمناسبة.

شعورها بالارتياك بسبب رغبتها في إفساد الحفل، جعل كريستي تجاريه في هذا الادعاء.

لكن هل ستخاطر بالبقاء في مزرعته بعد أن أوضح لها بأنه لم يثق بامرأة في حياته، وأنه لا يؤمن بالحب؟ وبعد أن أعلنت له بدورها أن لا شيء يرضيها أقل من... الحب الحقيقي؟

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١,٥ دينار	مصر: ٨ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عُمان: ١ ريال

ساره كريڤن

بدأت ساره كريڤن بالكتابة لشركة «ميلز آند بونز» سنة ١٩٧٥، وقد باعت منذ ذلك الحين ما يناهز السبعة عشرة مليون نسخة من كتبها في أنحاء العالم. وهي تهوى إلى جانب الكتابة، مشاهدة الأفلام والاستماع إلى الموسيقى والطهو، كذلك تناول الوجبات اللذيذة في مطاعم فخمة. تعيش ساره كريڤن الآن في مدينة «سومرسيت» وهي متمرّسة في متابعة برامج المسابقات التلفزيونية والمشاركة فيها.

١ ـ متطفلة

حفل زفاف ديكن ـ ماكينون
حفل الاستقبال ـ قصر صاحب المزرعة ماكينون ريڤرساید
بريزبن ـ كوينزلاند

ـ آش، عزيزي، من هي تلك الفتاة؟ تلك الشقراء التي ترتدي الفستان الأخضر الأنيق؟

ولكزته مرسيدس والدة العروس في ضلوعه، وعلى جبينها تقطيبة قلقة.

جاء رده ساخراً: «أتعنين الآنسة بوتسيلي؟ كنت أتساءل عنها أنا أيضاً».

في الواقع، كان آش متعجباً من الاهتمام الذي يشعر به نحو تلك الشابة بالذات. فالنساء الجميلات من طراز هذه الشقراء كن يذكرنه بأمه، أمه التي يكرهها، ويتشوق إليها، منذ هجرته مع والده حين كان في العاشرة من عمره.

همست مرسيدس بقلق حقيقي، وأصابعها تعبث بعقد من اللآلىء الثمينة المستخرجة من بحر الجنوب الأوسترالي.

ـ يبدو أن لا أحد من جانبنا يعرفها.. وهذا يشمل كل من سألته. أوه.. يا إلهي... لماذا أنا قلقة؟

وأطلقت ضحكة صغيرة زائفة: «صحيح أنها جميلة جداً وتجيد التصرف. لكن يبدو من الواضح أن عزيزنا جوش يعرفها حتى ولو لم يقترب

منها. فهل تمانع عزيزي بأن تعرف من هي بالضبط؟».

في الواقع، كان سيفعل هذا، لأن «عزيزنا جوش» هو العريس.. ووجود حبيبة سابقة لا يفيد. وابتسم للمرأة: «ما من مشكلة مرسيدس، دعي الأمر لي».

كان مولعاً جداً بمرسيدس، وبابنتها الهادئة الصغيرة، كاليستا، التي تبدو مشرقة كما يُفترض أن تبدو في هذا اليوم المميز. لكنه لم يعمل إلى زوجها الجديد، جوش ديكنز، وتساوره الشكوك بأن يكون ديكنز طامعاً فقط بمال كاليستا. لكن المشكلة أن مرسيدس متعلقة به وكاليستا غارقة في حبه، ولن تصغي إليه، بل ستتمسك بجوش بعناد. ومع أنها تحب أمها، إلاّ أنها في سن التاسعة والعشرين ومتلهفة للهرب من البيت. ومتحمسة للزواج وتأسيس أسرة خاصة بها.

صوت مرسيدس الرنان أخرجه من أفكاره حين قالت، وكأن كل شيء يمكن أن يتغير في أيّ لحظة: «كل شيء يسير بطريقة رائعة. وآخر ما نحتاجه أن يحدث خطب.. همم..».

ونظرت عبر الغرفة المكتظة إلى الشقراء الجميلة.. تفتش عن الكلمة المناسبة.

قال مهدئاً: «لا تجزعي.. قلت لك إنني سأعالج الأمور».

وتمنى على الله ألا يكون الوقت قد تأخر لهذا..

قالت مرسيدس بمحبة: «أنت أكبر داعم لي آش. وأخشى أنني أثقل عليك كثيراً».

رد بخفة: «نحن عائلة واحدة مرسيدس».

فآش لا يستخف بشؤون العائلة أبداً. إنه رأس عشيرته، حتى وإن لم يعد لديه عائلة. فوالدته تعيش معظم الوقت مع زوجها في نيويورك، ووالده وعمه شولتو زوج مرسيدس قتلا في حادث تحطم طائرة صغيرة منذ خمس سنوات. لذا، وجد آش نفسه وهو في أواخر العشرين من عمره، على رأس امبراطورية ماكينون لتربية المواشي، فحمل مسؤولية العائلة. وهو

ينظر إلى هذه المسؤولية بكل جدية.

وبينما توجهت مرسيدس في ثوبها القطني نحو ضيوفها، أدرك إنه لم يقل لها أنه كان يراقب «الآنسة بوتسيلي» منذ دخلت متطفلة إلى حفل الاستقبال، وكأن غرائزه قد حذرته منها. تلك المرأة اتبعت أكثر الطرق وقاحة لكي تدخل إلى الحفل. فقد كان الحاجبان اللذان يقفان عند الباب المفتوح لمنزل مزرعة ماكينون يأخذان بطاقات الدعوة من المدعوين ويقارنانها بلائحة معهما حين لاحظ وصولها. كان على قمة السلم، ولم يستطع أن يشيح بنظره عنها. كانت قامتها طويلة، وقد جعلها الحذاء المرتفع الكعبين تبدو أكثر طولاً. وارتدت فستاناً جميلاً يسلب اللب، من الحرير الموشى بألوان خضراء مختلفة، ودون أكمام، أما تنورته فقصيرة مطرزة بخرز صغير لماع، تبرز جمال ساقيها الطويلتين. كان ثوبها ملائماً تماماً لامرأة شابة صغيرة.

ها هي شقراء غامضة طويلة القامة، يعلو رأسها شعر مرفوع إلى الأعلى، وينساب كشلال على ظهرها، وإلى ما بعد عظمتي كتفيها. وكما رأى بوضوح، كانت بشرتها ناعمة الملمس بلون عاجي، وخداها حمراوين، أما عيناها فتبدوان حتى من مسافة بعيدة خضراوين صافيتين فيهما شحوب، تحت حاجبين أسودين. بدت شابة جميلة مثيرة لا مثيل لها، إلا أنه كان لدى آش إحساس غريب بأن كل هذه الحيوية لا تنبىء عن السعادة بل هي بعيدة جداً عنها، فقد بدت متوترة. وتقدم أكثر وهو ينزل السلم، ليشعر بازدياد الإثارة، مما جعله متوتراً بطريقة لا معنى لها، وإن كان ذلك يذكره بأنه من البشر.

كان يعتقد أنه يعرف كل صديقات كاليستا، والله يعرف أنها ومرسيدس حاولتا تقريبه من إحداهن للزواج بها، ولم تصغيا إليه تماماً حين أبعدهما. لكن من هي هذه الفتاة بالضبط؟ وما سبب وجودها هنا؟ لقد شاهدها تتظاهر بالتفتيش في حقيبتها عن بطاقة الدعوة.. لكنها رأت عبر الردهة الرخامية شخصاً تعرفه، فتهلل وجهها بابتسامة ولوحت بيدها، ونادت اسماً. وعلى الفور، تركها الحاجبان بلباقة ودون اعتراض. إن تمثيلية

كهذه من امرأة مثلها لا بد أن تنجح.

وكما توقع آش تماماً، لم تتجه نحو أحد. ولم يكن هناك من ينتظرها، بل دخلت مباشرة وهي تتأمل المدخل الأنيق الملىء بالزهور. وتذكر أنها لم تكن بين الحضور في الكنيسة، وإلا لما فاته أن يلاحظ وجودها... لكنها هنا في حفل الاستقبال. لم يكن الحفل حفل عشاء، بل «بوفيه»، يقدم فيه الطعام من سرادق كبير أقيم في الحديقة التي تصل مساحتها إلى ثلاثة فدادين.

يبدو أن لديهم متطفلة، ولو أنها امرأة جعل جمالها أنفاسه تعلق في حلقه. في حياته الزاخرة بالعمل لم يكن لديه وقت لامرأة يمكن أن تبقي رجلاً في حالة إثارة دائمة. ففي دماغه الكثير ليشغله، والكثير ليفعله، وهذه المرأة قد تثير المتاعب، وربما تكون على علاقة بطريقة ما بجوش ديكنز، الذي اصبح زوج ابنة عمه منذ بضع ساعات فقط. وقفزت الحيبة السابقة إلى ذهنه فوراً، حيبة سابقة تخطط ربما للعبة قذرة. لا.. لا مجال! فلديه حدس قوي يملي عليه إخراج الآنسة بونسيلي من المنزل بسرعة.

دخلت كريستي، عبر الباب الأمامي لمنزل مزرعة ماكينون المؤلف من طابقين. ومع أنها كانت متوترة إلاّ أنها حافظت على تماسك أعصابها. وكانت أكثر غضباً وتكدراً من أن تتراجع في مهمتها، فمما يصدم ويتنافى مع أصول اللياقة التطفل على حفل زفاف. كادت تندم بعمق على مجيئها. لكن حبيبها السابق جوش، الرجل الذي أقنعها أنه يحبها، يستحق أن ترعبه، ولم يكن لديها النية إطلاقاً بأن تزعج العروس، وريثة أسرة ماكينون. فالعروس على الأرجح امرأة شابة وبريئة ساذجة مثلها. وجوش، رغم كل شيء، ساحر في مظهره. والفارق الوحيد بينها وبين العروس هو ما يوازي خمس عشرة مليوناً. هذا عدا ما يمكن للشابة المحظوظة أن ترث من أمها، السيدة مرسيدس ماكينون، المرأة الثرية وأرملة المرحوم شولتو ماكينون، مربي المواشي ورجل الخير المعروف جداً. وبينما كان جوش يتودد إلى الوريثة، كان يتابع توددَه لها. وكم مرة قال لها إنه يحبها؟ كم مرة ذكر موضوع الزواج؟ لقد كانا يفكران جدياً بالخطوبة.. فبعد ستة أشهر، من

الأوقات الرائعة المليئة بالمرح، انهار كل شيء حين رأته صدفة يعانق امرأة أخرى خارج مبنى المحكمة التي كانت حاضرة دائماً في قصصه. فجوش عام بارع، وتبين أن المرأة الشابة هي عروس اليوم، كاليستا ماكينون، والتي أصبحت السيدة جوش ديكنز. حتى حين كان جوش يعلن حبه لها، كان يتودد إلى الوريثة. ولقد لعب القدر لعبته. فقد كانت السيدة مرسيدس ماكينون زبونة مفضلة لمؤسسة المحاماة الشهيرة حيث يعمل جوش كمساعد. ودخلت المكاتب يوماً ومعها ابنتها الصغيرة الجميلة، كاليستا. وكان جوش بارعاً بشكل خاص مع الزبائن من النساء، لذا سمح له رئيسه أن يتولى ما تريد. وفي ذلك اليوم بالذات أدرك جوش أن الفرصة الذهبية قد أتيحت له، فمع زوجة ثرية، سيكون العالم ملكاً له، وجوش طموح جداً. والمال مهم له.. وهي لم تفهم أبداً هذا الجانب من جوش. لقد كان كاذباً.. حاذقاً.. ومثلاً بارعاً يبرع في عدد كبير من الأدوار.

في منتصف الطريق عبر ردهة المدخل الواسعة، أحست أنها تحت المراقبة الشديدة. وكانت تدرك أنّ مظهرها الأشقر الجميل يجذب الاهتمام، لكن النظرة المركزة عليها لم تكن ترسل لها أي ذبذبات إعجاب، بل أحست وكأنها تحت التفحص الرهيب إلى أقصى الحدود، ووجدت أنها مريبة. كان إحساسها شائكاً بحيث اضطرت إلى النظر إلى الأعلى، تبحث عن مصدر ذلك الشعاع المغناطيسي.

واتسعت عيناها الخضراوان من الصدمة، وركّزت نظرها بحدة على رجل يقف في أعلى السلم الأنيق، يتطلع نحوها بعينين براقتين.

آش ماكينون.

ولزمها أقل من برهة لتتعرف إليه. إنه أكثر وسامة وعجرفة مما يبدو عليه في صوره. فبعد أن أخبرها جوش عن عزمه الزواج من عشيرة ماكينون، أحست بالكدر الكافي لتجعل شغلها الشاغل تجميع ما تستطيع من معلومات عنهم. وكان هناك الكثير، إنهم سلالة من الرواد، ملوك تربية المواشي منذ أيام المستعمرين الأوائل الذين كدسوا الثروات الطائلة. ولقد

شاهدت صوراً لماكينون الخالي ولمنزله المتوارث في «كانال كنتري» جنوبي غربي كوينزلاند. وهو مزرعة ضخمة. وجدت صوراً لآش ماكينون في أوضاع مختلفة، بما فيها لقطة رائعة له وهو يلعب «البولو». في الواقع، لقد أشعرتها رؤيته بإثارة غريبة.. فهو لا يبدو رجلاً لطيفاً، بل بعيداً جداً عن هذا، فهو يبدو رهيباً. وبالتأكيد ليس من النوع الذي يطيق أن يكون هناك متطفلة في عرس ابنة عمه.

تحركت كريستي بسرعة. كل ما كانت تريده هو فرصة، ولو قصيرة، لتسبب لجوش فزع حياته. وأكثر ما كانت تنويه هو أن تلوح له قليلاً، ثم تعود إلى منزلها سعيدة. أو على الأقل سعيدة بقدر ما يمكن لفتاة أن تكون حين يذلها رجل. ولم تكن قد كتبت دوراً لآش ماكينون في هذا السيناريو أبداً، وهذه غلطة كبيرة. وأحست مرتجفة أنه قادر على الوصول إليها بسرعة، فشقت طريقها إلى غرفة الجلوس الفاخرة، متأثرة، بالرغم عنها، بالديكور والعمل الفني العظيم على جدرانها.

سأل صوت جذاب قرب أذنها: «صديقة للعريس؟».

واستدارت على كعبيها العاليين وقد ارتاحت إلى ما أبعد من الكلمات، لرؤية شاب طويل أحمر الشعر يبتسم لها. كانت عيناه الزرقاوان اللامعتان مليئتين بنوع من الإعجاب كانت كريستي معتادة عليه.

إنها آمنة الآن، وتنوي أن تبقى إلى أن تحصل على لحظة انتقامها الصغير من جوش.

راقبها آش من المدخل الزجاجي المفتوح الذي يقود إلى المشتل المليء بالنباتات، وهو يتعجب بصراحة من وقاحتها. وقد رأى كل العزّاب على مرمى النظر يتحركون نحوها. ولم يستطع أن يصدق ردة فعله، وأغضبه هذا. أراد أن يقول لتيم، وهو شاب يعرفه منذ زمن طويل، أن يبعد يديه عنها، حتى أن عضلات كتفيه توترت، وهذا أمر يبعد كثيراً عن عادته.

كان المشتل قد تحول إلى قاعة رقص، والعديد من الرجال والنساء دخلوا الباحة ليرقصوا. وانتظر اللحظة المناسبة، فيما نظره عليها بوعي

كامل، ثم اعتذر من المجموعة التي حوله.

ربت على كتف صديقه تيم ويستبوري: «أعذرني.. علي حقاً أن أقدم تعزيتي إلى شريكتك».

- يا للسماء آش، نحن نقضي وقتاً طيباً.

للحظة بدا أن تيم سيبقى حيث هو إلى أن رأى تعابير آش، الذي رد: «هذا ما لاحظته، وداعاً تيم».

قال تيم قبل أن تبعده فتاة أخرى: «أراك فيما بعد كريستي».

لف آش ذراعه حولها، ليجد لذة غريبة. وتنشق عطرها.. إنه عطر الفريز يخالطه شيء من عطر الليمون الحامض.

- حفلة رائعة.

وافقت: «رائعة».

وأدارت وجهها بعيداً، كانت تتظاهر بالهدوء بينما كان قلبها يخفق رعباً.

- مراسم زفاف جميلة.

- لقد جلبت الدموع إلى عيني.

- حقاً؟

- أنا لا أكذب أبداً.

- ربما تكذبين في هذه المناسبة.. لدي إحساس أنك لم تكوني في الكنيسة أبداً، أنا آش ماكينون على فكرة، ابن عم كاليستا.

قطبت قليلاً: «أنتما لا تشبهان بعضكما البعض أبداً».

وكان من الصعب عليها ألاّ تتأثر به.. ولو من جهة الجمال على أي حال.. وكيف السبيل إلى وصفه بغير الجمال؟ ذكر مسيطر، متجهم قليلاً. مع ذلك، هو ذاك النوع من الرجال الذي تحن النساء به. لكن ليس هي، فهي تعرف أنه قاس جداً بالنسبة لها. لكنه يبدو رائعاً في بذلته الرسمية الصباحية، الرمادية التقليدية مع ربطة عنق حريرية بلون خمري.

عرفت من شريكها تيم، أنه هو الذي أوصل العروس إلى عريسها..

فهو رأس العائلة. ويبدو هذا الدور ملائماً له بكل تأكيد. وقد بدا رشيقاً وقوياً بقامته الطويلة، التي جعلتها تشعر بأنها قصيرة القامة مع أن طولها يبلغ خمسة أقدام وثمانية إنشات مما يجعلها امرأة طويلة. واستطاعت أن تشعر بالعضلات المشدودة في ذراعيه وعلى امتداد ظهره.. إنه قوي جداً.

وتابعت كريستي تفحصها اللاهي.. لون أسمر قاتم دائم، ليس مثل لون جوش الصبياني الذي كسبه من أشعة الشمس على الشاطىء. وكانت عيناه جميلتين حقاً مثل بركتين لامعتين، ولم تستطع إطالة النظر إليهما لكنه بدا وكأنه يخترقها تماماً بنظرته.

لم يكن يبدو كرجل لطيف يجعل المرأة تشعر بالأمان. وبدا خطيراً بما يكفي لأن يُعامل بحذر، وهذا سبب لها الكثير من التوتر.

وتحمّل تفرسها الطويل له، دون انزعاج. وقال بصوت أسود ساخر: «أكاد أموت شوقاً لأعرف اسمك».

ـ ما عليك سوى سؤالي. اسمي كريستين باركر. وأصدقائي يدعونني كريستي.

تكلمت بصوت منخفض، فكان ردها لطيفاً كالموسيقى. وكانت تلك ورقة رابحة أخرى تخبئها: «إذن، سأدعوك الآنسة باركر. هل أنت صديقة العريس، إن كان لي أن أسأل؟».

ردت: «لماذا يبدو سؤالك وكأنه تحدٍّ؟».

ـ ربما لأنك امرأة من النوع الذي يستجيب للتحدي.

ـ أنا لا أقصد أي أذى سيد ماكينون، أريدك أن تفهم هذا.

ـ يسعدني سماعك. لا يمكنني السماح لك بإفساد يوم ابنة عمي.

احتجت: «لا أنوي أبداً فعل شيء كهذا، فلست حاقدة بطبيعتي».

ـ لكنك تسعين لإزعاج ديكنز؟

ـ وهل هذا يهمك؟

وكان من الرائع أن تتمكن من تحديه، فقربها من هذا الرجل يشعرها بالخطر. وفي حالتها المتوترة قارنت هذا مع التداوي بالصدمة.. إنها لا

تعرف حقاً ما الذي أصابها.

قال بصوت مخدر جعل الحمرة تعلو خديها: «اهتمامي الوحيد هو أن يسير حفل الاستقبال هذا بطريقة جميلة، فأنا مخلص لزوجة عمي وابنتها».

ـ حقاً؟

فجأة أحست بحاجة لأن تهاجم، وتزايد غضبها وإذلالها: «كما تبدو لي، لا أعتقد أنك تملك ذرة واحدة من الحنان».

قال: «اهدأي.. آنسة باركر».

وسرت بينهما حرارة قوية كما أدركت كريستي بإحساس مذهول. وتساءلت كيف يمكن لهذا أن يحدث وهي لا تزال تعتبر نفسها منبوذة من جوش؟ كانت تشعر ببصمات يد هذا الرجل من فوق قماش فستانها الحريري، وأوشكت أن تفقد قدرتها على الإحساس فشعرت برعب حاد كاد يتحول إلى حدة كحد السيف.. لكن الرجل مذهل، قوي وتعامله معها هو أبعد ما يكون عن اللطف المستهتر الذي أحاطها به جوش.

كان ينظر إلى وجهها المعبّر، عندما توترت تعابير وجهه، وقال بغتة: «دعينا نذهب».

رمت رأسها إلى الوراء بحفلة: «إلى أين؟».

ووجدت وجهه غير مقروء حين ردّ: «إلى الحديقة. فديكنز ينظر إلى هنا طوال الوقت.. حتى وعروسه في ذراعه».

قالت: «لا تهتم».

لكنها تمنت أن يكون جوش قد رآها فعلاً. ولم تستطع تحمّل الموقف. فقد بدت كاليستا رائعة جداً، وهي تستحق أن تكون سعيدة، وانبأتها غرائزها بأن هذا لن يدوم طويلاً، ليس مع جوش. فهو ليس جيداً لها بما يكفي.. لأن حبه الوحيد هو المال. لكن كاليستا في يومها الكبير، بدت مشرقة في ثوبها الساتان بلون البيج الجميل الذي يلمع بآلاف حبوب اللؤلؤ.

بعد كل ما عرفته، كانت كريستي لا تزال تتمنى، وبعناد، لو أن الأمور مختلفة.. ولو أن جوش مختلف عن الرجل الذي هو عليه.

سألها آش ماكينون، ووجهه القاتم يتحول إلى الاحتقار: «إلى أي مدى تعرفينه حقاً؟».

ـ لا أعتقد أنك تريد أن تستمع لما سأقول.

ـ جرّبي.

ـ كان هذا في الماضي.. في بُعد زمني آخر.

إنها تحتاج إلى فسحة تنفس ضخمة بعيداً عن هذا الرجل.

ـ سيكون هذا أفضل.

ورفع وجهها بيد واحدة وأدار نظرته المتفحصة عليها.

ـ ماذا تريد أن تفعل؟ أن تسحقني؟

وحسدته على قوته الرجولية، وعلى عدم تحيّزه.

وعلى الفور، أرخى قبضته. ماذا يريد منها؟ أن يلتقطها ويحملها بعيداً؟

قال: «هل تظنين أنني يمكن أن أكون بدائياً إلى هذا الحد؟».

ـ أستطيع الإحساس بغضبك.

مع ذلك، فثمة شيء فيه يمنحها إحساساً عميقاً.. وكأنها مغلفة بلبل مخملي أسود. إنه مختلف تماماً عن جوش، ويملك جاذبية قوية وصلتها حتى عبر ألمها. والأكثر من ذلك، أنه كان يسيطر عليها، ويشدها إليه.

ـ إذن ستخبريني بالضبط لماذا أنت هنا؟ أنا متأكد من أن ليس معك دعوة.

نظرت إليه بسرعة، ورموشها تغطي عينيها: «لقد تركتها تقع مني.. وطارت في الهواء».

ليس هناك ما يريح في هذا الرجل. مجرد حرارة مذهلة. كانت تشاهد جوش وعروسه من زاوية عينها.. وسرت موجات ألم في جسمها، فأمرته قبل أن تبدأ البكاء: «عانقني».

هزها قليلاً: «لأنك تريدينه أن يغار؟ أنظري إليّ».

وتمتم: «أيتها الحمقاء الصغيرة».

أحنى رأسه الأسود فوقها وكأنه يحميها: «ما من سبيل لأن

تسترجعيه.. لا سبيل».

ـ لا أريد استرجاعه.. لا أريد!

وكانت تعرف أن ما قاله حقيقة.. لكنها لا تستطيع أن تتماسك بين ليلة وضحاها.

ـ هل هذه نوع من الصلاة؟

ارتجف فمها تحت نظرته المكتئبة: «هل تستطيع أن نخرج؟».

ـ ولمَ لا؟ سنترك الكثير من الفضول الحارق خلفنا.

لكن هذا لم يحدث.. فقد نادت كاليستا ابن عمها عبر الغرفة: «آش!».

لم يقل أحد لكاليستا من تكون هذه الفتاة الشقراء في الفستان الأخضر. إنها جميلة جداً في عيني كاليستا.. والفستان! لن تستطيع ارتداء فستان مثل هذا. وآش؟ ماذا يفعل معها؟ كلاهما يبدو وكأن لا أحد في الدنيا يشغلهما.

وإلى جانب كاليستا، تمتم جوش مستنكراً: «مع كل هذا الكلام، أشعر بجفاف في حلقي. سأحضر لنفسي عصيراً، هل أحضر لك شيئاً حبيبتي؟».

ابتسمت كاليستا له بحلاوة: «أوه جشوا.. أرجوك أن تبقى وتقابل صديقة آش الجديدة. إنني مندهشة.. لكن آش شخص مليء بالمفاجآت».

جف فم جوش حقاً وأخذ قلبه يخفق بقوة: «لست أدري..».

لطالما كانت كريستي «سيدة» مهذبة لكنه يعرف ماذا يمكن لامرأة غاضبة أن تفعل.

وأمسكت كاليستا يد عريسها: «أرجوك حبيبي.. من أجلي».

اعترفت كريستي لآش ماكينون وهما يعبران الغرفة: «لا أستطيع فعل هذا».

ـ بلى تستطيعين.. وسأدعمك.

وأمسك بيدها بقوة.

ـ من أنا؟ من مِنّ المفترض أن أكون؟

وكان رده قاسياً قليلاً: «كان يجب أن تفكري بهذا جيداً.. أنت أعمق

أسراري».

وكادت تغرق في الارتباك: «تعني أنك أنت من دعاني؟».

- ومن غيري؟ لن أخاطر في جرح كاليستا.. هل تظنين نفسك قادرة على الابتسام؟

ونظر إليها منتقداً، فأجابت: «بالطبع أستطيع الابتسام، أيها الرجل المتعجرف».

واكتسحتها عاصفة من الكبرياء الغاضبة. إنه يحمل القسوة في راحة كفه.. ماكينون هذا، ملك تربية المواشي.. ذو السلطة العالية.. والشحنة الكهربائية المرتفعة.. وأحست برغبة هستيرية بأن تهرب منه.

قال فجأة بصوت أجش قاس: «أنظري إلى ديكنز.. أراهن أنه يحاول الهرب، لكن كاليستا منعته».

سألت عبر أسنانها الصغيرة المشدودة: «ما هي التمثيلية إذن؟».

وكأنها تعرف هذا الرجل من حياة أخرى. لكن، ليس لديها الوقت لتفكر في هذا.

قال، يعطيها من حيث لا تدري أكثر الابتسامات إثارة: «سنلعب الدور عن طريق الاذن».

و.. هاي! بدا جوش كالأرنب المتجمد العالق تحت أنوار الصياد..

وكانت كاليستا، العروس المنتصرة، تنقل نظرها بين ابن عمها وكريستي وكأنها لا تعرف ماذا يجري. وأدركت كريستي أن كاليستا، عن قرب، أكبر سناً مما كانت تظن. إنها في أواخر العشرين بدلاً من أوائله، ربما سيعود إليها الميراث في سن الثلاثين، والدليل أن جوش لا يستطيع الانتظار.

قال آش لابنة عمه بصوت هادىء مدهش: «تبدين جميلة تماماً، وسعيدة جداً كاليستا. أرجو أن تظلي سعيدة على الدوام».

ودس ذراعه بنعومة حول خصر كريستي، يقدمها: «أرغب أن تلتقي بصديقة لي. كريستي باركر لم تكن على لائحة المدعوين لأنني لم أعرف أنها ستعود من لوس أنجلوس».

وعاد جوش ليمثل دور العريس المحب بعد أن عرف أنه نجا من خطر رهيب، واكتسب تعبير وجهه الثقة، ليسأل كريستي: «نحن نعرف بعضنا.. أليس كذلك؟ أنت تعملين لشركة إعلانات «وايتلو».

حان دورها لتحطمه، لتعطيه الرد الذي يستحقه.. لكن، بدلاً من ذلك هزت رأسها ببرود، وردت: «هذا صحيح. وأعتقد أنني أعرفك أيضاً».

وحضر جوش نفسه مرة أخرى للهجوم. لكن هذا لم يحدث، وسأل بلطف طريقة ودية: «كيف حال زاك؟».

وكان يشير إلى صاحب عمل كريستي ورأس شركة العلاقات العامة.

كانت منزعجة جداً: «بخير.. لقد كان زفافاً جميلاً كاليستا.. وأتمنى لك كل السعادة».

ومن المذهل أنها تمكنت من قول هذا.

- شكراً لك كثيراً.. كريستي.. أين التقيت آش؟

- حسن جداً..

قاطعها آش ماكينون: «إنها قصة طويلة».

وشد كريستي إليه، وهو يشعر باضطرابها. فقد كانت متوترة كقطة.

نظر جوش طويلاً إلى كريستي: «قصة تستحق أن نسمعها».

قاطعه آش بصوت ساخر: «لن تتكلم كريستي.. سنراكما فيما بعد. وأعرف كم تريدان أن تكونا معاً».

تمتم آش بصوت غير مسموع تقريباً وهما يبتعدان: «يا إلهي العزيز! أشعر بأنني بحاجة إلى شيء أشربه الآن. لقد أبليت حسناً. وكان واضحاً لي أنك كنت راغبة في صفعه».

مهما قال هذا الرجل، كان يلهبها: «وأنت ألم ترغب في هذا؟ اعتقدت أنك ترغب في تقطيعه إرباً».

قال متشدقاً: «أنا متدهش لقولك هذا. لكنك لا تعرفيني، لو كنت سأتطعه حقاً لما بقي ديكنز واقفاً.. «ألا أعرفك؟».

وقلد لهجة جوش الناعمة: «واقع أن كاليستا ابنة عمي وهي ترتدي ثوب الزفاف هو الذي منعني من طلب خروجه معي إلى الخارج لأحطم وجهه».

ـ لا أتصور أنه يستطيع تحمل قبضاتك القوية.

وارتجفت، فجوش لن يكون نداً لمربي المواشي هذا. إذ ليس لديه هذا النوع من الرجولة. بل الواقع، هي تعتبره «ناعماً» جداً.

أشار آش إلى أحد السقاة ببذلته الرسمية، فأسرع إلى جانبه وقال له: «شكراً لك».

وأخذ كأسين من العصير من على صينية فضية.

والتفت إلى كريستي: «يا فتاتي العزيزة.. يمكن أن أصرعه بضربة واحدة».

قالت كريستي بحزن وهو يمرر الكأس لها: «يجب أن أذهب الآن».

ـ يا عزيزتي.. يجب أن ترميك في الخارج.

ولم يعجبه بؤس هذه الساحرة الجميلة.

ـ أنا لا أنتمي إلى هنا.

ـ أوافق معك تماماً. لكنك لن تذهبي إلى أي مكان.. ليس بعد. تعالي.

وأمسك ذراعها، ليأسرها: «لنترك كل هؤلاء الناس الطيبين لمعنوياتهم المرتفعة.. أتوقع أن تكوني جائعة؟».

هزت رأسها، تقاوم بكبرياء: «لا».

ـ أعدك أنك ستشعرين بالجوع لرؤية الطعام.

وهما يشقان طريقهما إلى السرادق وقف مصورو صحافة المجتمع في الطريق. ولمعت الأضواء، تلتقط صوراً لهما وهما يسيران معاً كعاشقين. لم يتوقف آش ماكينون ليعطي اسم كريستي، ولم يكن مضطراً لهذا. أحد المصورين كان يعرف بالضبط من تكون لأنه صوّرها في مناسبات مختلفة من قبل. ولا شك أن صورة لها مع آش ماكينون ستظهر في مجلة «فوغ» أو في أي

مجلة ستمتلك حق النشر.. ورفعت كريستي كتفيها عالياً.

كان الطعام مترفاً حقاً. ووقف الضيوف يحملقون برهبة قبل أن يتحركوا لتذوق الأطباق التي لا عدّ لها.. سبق لكريستي أن رأت قالب حلوى الزفاف الذي يرتفع ستة أقدام، والذي يحتل طاولة غرفة الطعام. كان من الواضح أن الزوجين السعيدين سيقطعان قالب الحلوى داخل المنزل. وأملت كريستي أن تكون قد غادرت قبل ذلك بوقت طويل.. لماذا لم يرمها ملك تربية المواشي إلى الخارج؟ إنه رجل شاذ غريب.

وبدلاً من ذلك، دعاها إلى الطعام، وقال بحثها: «هيا.. الجميع ينظر إليك. بالطبع أنت أجمل امرأة هنا، مع أنني أتوقع أنك ما زلت ترغبين في تبادل المواقع مع كاليستا».

وارتعبت لقسوته: «أنت نذل..».

قال ممازحاً: «سأتظاهر بأنني لم أسمعك».

وأحنى رأسه الأسود اللماع فوق رأسها، فبدا مزيجاً من اللونين الذهبي والأبنوسي.

قالت بحدة: «لا داعي للمبالغة».

لماذا يملك رجل مثل هذه الرموش الرائعة؟

ـ أنا أقوم بما أريد القيام به.. ويحتمل أن أكون قد وقعت في حبك بجنون.

ولم تستطع إخفاء غضبها الداخلي: «وهل صليت لأجل هذا؟».

ـ لا.. فنحن متآمران، وهذا كل شيء. وأنا ملعون لو عرفت السبب، فسلتنا على الأرجح لن تلتقي مرة أخرى.

ـ آمين.

فهذا ليس رجلاً يمكن التماشي معه. إنه كبير، قوي، وصلب. رجل من النوع الذي لا يعجبها.

قال ساخراً: «أنت لا تنظرين إلى كشخص مرغوب فيه؟».

ردت بحس متلبد: «ولمَ لا مع كل هذا المال».

أوليس هذا ما حصل مع جوش؟

ـ تملكين أسلوباً دبلوماسياً، وأنا واثق من أنك لم تكوني سليطة اللسان هكذا على الدوام.

ـ لم أكن.

وأحست بصداع خلف عينيها.

قال متهماً: «أنت تفكرين بديكنز.. أليس كذلك؟».

واشتدت عضلات وجهه.

ـ من الصعب ألاّ أفكر فيه وقد ظهرت في حفل زفافه.

ـ ومتى قررت القيام بهذا؟

ـ في الثانية عشرة والنصف ليلة أمس بالضبط.

ـ هذا ما ندعوه قراراً مفاجئاً..

وتقدم مدعوون آخرون للتحدث إلى آش. يبدو أنه معروف ومحبوب من جميع أصدقاء العروس ومعارفها. وغني عن القول إن لا أحد من الأثرياء يعرفها، مع أنها تتحرك في عالمهم أحياناً في الحفلات الخيرية. لكنه قدمها إلى كل أصدقائه الذين وجهوا إليها نظرة ثاقبة ملؤها الإعجاب. لقد آن لآش أن يتزوج، هذا ما فكروا فيه وهم يرسلون نحوها نظراتهم الخفية، دون أن يخمنوا أنها كانت تتألم في داخلها.. وبقدر ما كان آش ماكينون يعالج الموقف بحنكة، بقدر ما عرفت كريستي أن هناك جانباً أسود قاتماً لملك تربية المواشي هذا. ولكنها مصممة على الابتعاد عنه.. وساورها القلق لأنها لن تتمكن من الفرار منه حتى لو حاولت ذلك. لكن اللحظة المناسبة جاءت، فقد اقتربت منهما أربع من وصائف العروس، يرتدين أثواباً حريرية متشابهة بألوان زرقاء متدرجة، وأمسكن بذراع آش.

ـ آش.. حبيبي.. لماذا أنت قاس علي..

ولم تنتظر كريستي المزيد، وهربت عبر المرج الأخضر، وسارت في الخفاء بعيداً عن غرفة الاستقبال، متجهة إلى الشرق..

في اللحظة التي ظنت فيها أنها آمنة، امتدت يد رجل تمسكها وتجرها

نحو غرفة مضاءة بنور خفيف، بدا أنها مكتبة لرجل. فجدرانها مليئة بالكتب، وفيها خزائن زجاجية تحمل جوائز رياضية لسباقات الخيل.

وكان جوش يحدق إليها بشعره الناعم الذي يكاد يغطي عينيه: «كريستي!».

ـ آسفة.. آسفة.. آسفة! لا أريد الكلام معك.

وصرت على أسنانها.

توسل إليها: «اهدئي حبيبتي، يا إلهي.. ظننت أن ملك المواشي اللعين خطفك».

حذرته كريستي، فآخر شيء تريده، أن يدخل آش ماكينون الغرفة وهما معاً: «سيأتي للتفتيش عني في أسرع وقت».

ـ أنت لا تعرفينه.. أليس كذلك؟

قالت بحدة: «سنعلن خطوبتنا قريباً».

وانفغر الفم الجميل.

ـ كوني جدية.

ـ أنا جادة.

ـ أنت لست جادة! أنت لا تعرفينه. إنه لا يأتي إلى المدينة كثيراً، لديه امبراطورية ماشية يديرها.

ـ أعرف! إنه ثري جداً.

ـ أنت لا تهتمين بالأثرياء.

ـ أهتم بهم الآن، وهذه سخرية، أليس كذلك؟ وأستطيع القول إن لديه ملايين أكثر من زوجتك وحماتك معاً.

رد جوش متهماً: «أنت تشعرين بالمرارة».

وأخذت عيناه تجوبان وجهها وجسمها.

قالت وقد ضاقت عيناها الخضراوان: «تماسك جوش.. لا يأس أن تتزوج كاليستا. هناك عالم كبير واسع ومليء بالرجال الرائعين، وآش ماكينون موجود في القمة».

قال جوش بعدوانية: «لم تكوني على لائحة المدعوين. أنت محتالة كريستي.. أنت لا تعرفينه أبداً».

في يوم عرسه تكسر صوته بالغبرة. ووجدت كريستي تصرفه حقيراً.

ـ وكيف عرفت؟ لقد مرت أسابيع منذ وقعت عيناي عليك. والآن إذا كنت لا تمانع أريد أن أغادر.

تحداها: «وأنت ضيفة ماكينون؟».

ـ أعني هذه الغرفة.. أنت تحتجزني.

ونظرت إليه بقرف، لكي يبتعد عن طريقها.

قال وكأنه يطمئنها: «لا أحد يأتي إلى هنا كريستي».

ـ أوه.. أرجوك.. من الأفضل لك أن تأمل وتصلي ألاّ يأتي آش ماكينون، فقد تنتهي ميتاً.. إنه يحمل مسؤولية حماية ابنة عمه بجدية.

ابتسم ابتسامة مشدودة: «أستطيع التعامل مع كاليستا.. كان عليّ أن أكلمك كريستي. ويجب أن أراك فيما بعد».

لمعت عيناها غضباً، وارتفع صوتها غير مصدقة ما تسمعه: «فيما بعد؟ فيما بعد، من المفترض أن تكون في شهر عسلك».

قال معترفاً برنة أسف عميق: «كم أتمنى لو كنت أنت عروسي».

ـ اذهب إلى الجحيم.. وأرجو أن تبقى هناك.

تأوه.. ولمعت عيناه بطريقة غريبة: «لماذا تفعلين هذا بي؟ أنا أحبك، وأنت تحبينني. لا شيء يمكن أن يغير هذا».

ومد يده إليها، معتقداً أنها سوف ترتمي بين ذراعيه.

بدلاً من هذا، ظهر جسم آش ماكينون الطويل القوي في الباب المفتوح، واندفع إلى داخل الغرفة، وهو يبدو خطيراً ورهيباً.

قال بصوت أجش، وعيناه تلمعان كالماس الأسود: «لا بد أن هذه أكبر حماقة ارتكبتها في حياتك ديكنز».

والتفت إلى كريستي، يعطي الأمر من بين أسنانه: «ابتعدي عنه».

إعطاء الأوامر كان ميلاً طبيعياً في نفوس المخلوقات الخطرة.. وأطاعت

على الفور. وردت: «ألم يخطر ببالك المتعجرف أن هذا ما أحاول فعله؟».

وكانت الحدة في صوتها تماثل حدة صوته.

قال يذكرها، دون أن يبعد عينيه عن العريس الضال الذي احتمى خلف مقعد: «طلبت منك أن تبقي معي».

ـ وأنت ظننت حقاً أنني سأضيع؟ أي نوع من النساء تظنني؟

قال باختصار: «بلهاء، كبداية، تعالي إلى هنا».

وكانت أكثر حكمة من إثارته أكثر. وأحس آش برغبة في سحق عريس كاليستا الجديد على الجدار: «ماذا ستفعل بك ديكنز؟ عائلتي مهمة جداً لي».

وبكل صدق، كان آش يغلي غضباً لرؤية الآنسة باركر تكاد تكون بين ذراعي ديكنز.

وتبنى جوش المذعور موقف المعتذر بعمق: «لم يكن الأمر كما تعتقد». الاشتباك مع ملك تربية الماشية سيكون كالاشتباك مع وحيد قرن مهاجم.

ـ إنها القصة القديمة ذاتها. ولا بد أنك تعرف هذا آش.

وتحولت أساريره وجهه إلى تعبير رجل لرجل: «كان لي مع كريستي علاقة قصيرة، لكن حين قلت لها إن الأمر انتهى، لم ترغب في تركي.. هكذا هن النساء».

وفكرت كريستي أنها لم تعرف هذا الرجل أبداً، ونظرت إليه بمزيج من الخيبة والألم.

وكاد آش يختنق: «وهل تظن حقاً أنني سأبتلع هذا؟».

لم يكن قادراً، إطلاقاً، على أن يفهم هذا الرجل.. ماذا بحق الله، تجد كاليستا وهذه الفتاة فيه؟

وافتتمت كريستي تلك اللحظة لتكون بعيدة عن الأنانية.. ليس من أجل جوش، ففي وقت ما من المستقبل سيحصل جوش على القصاص الذي يستحقه. لكن من أجل كاليستا.

ـ هذا صحيح.

ولم يكن لديها النية في إيذاء كاليستا. فهي مجرد امرأة أخرى ظنت نفسها تحب رجلاً بعمق، حتى لم تعد ترى بوضوح.

ـ لقد جئت إلى هنا لأخربه.

وازداد توتر آش: «يا لهذا الانحلال الأخلاقي!».

وتفحص كريستي بعينين مزدريتين: «أنت تحاولين إنقاذ جلده الذي لا يساوي شيئاً».

ـ ابنة عمك كاليستا لا تستحق هذا. إنها الشريك البريء. وأنا مدينة لها بشيء. السؤال الذي أطرحه على نفسي الآن هو لماذا تركتها أنت تتزوجه؟

وعكس وجه آش الديناميكي إحباطه: «الواقع أن كاليستا تقارب الثلاثين من عمرها».

والتفت إلى كريستي، وتلاشى غضبه حين رأى شحوبها، فقد كانت مضطربة جداً وعيناها متسعتين.

قال آش أمراً وصوته يطقطق كالسوط: «أخرج من هنا. أنت تتلاعب بمصير نساء أخريات اليوم، ولو سمعت كلمة..».

أعلن جوش، بلهجة الرجل المحتال المحترف: «سأكون أفضل زوج».

هز آش رأسه: «من الأفضل أن تكون كذلك أيها الرجل».

وأخذ جوش يقول: «أنا أحب كاليستا».

ورمى آش ماكينون رأسه إلى الوراء هادراً: «لدي شكوك عميقة في هذا، فأنت قذر».

جف ما تبقى من كلام جوش، وتقدم بسرعة نحو الباب، ووقف للحظة وقد أحس بالأمان قرب الباب.

ـ بالنسبة لي، كريستي هي المتهمة هنا، فالصديقات السابقات ليس من المفترض أن يتطفلن على عرس الرجل.

وأخذ آش يشتم من بين أسنانه في نوبة غضب: «أخرج من هنا».

وكانت حركات جسمه أشبه بحركات فهد يستعد للوثوب.

ولم يكن جوش مجنوناً تماماً. وبنظرة حزينة أخيرة، انطلق يجري.

قال آش بقرف: «هذه ليست أفضل ساعاته».

حان الوقت، والوقت لم يعد له معنى بالنسبة لكريستي، ليغادر الزوجان السعيدان لقضاء شهر العسل.. وكان الضيوف قد تجمعوا ليلوحوا لهما مودّعين، فوق المرج الأخضر الأمامي لمنزل ماكينون.

واستدارت كاليستا، الجميلة كالصورة في ثوبها الزهري، لترمي باقة الزهر. ولم تتم كريستي بأي مجهود لتلتقطها، فقد كانت تحارب الوهم الذي علقت به وكأنها في حلم.

وركضت وصيفات العروس إلى الأمام، وكفوفهن إلى الأعلى وأصابعهن متفرجة، كل واحدة منهن مصممة على التقاط الباقة الرائعة..

لكن الحياة مليئة بخيبات الأمل. فقد وقعت باقة زهر كاليستا، بثقلها المحطم الناعم، بين يدي كريستي الفاقدة الأعصاب.

وشاهدت كريستي العضلات على فك آش ماكينون تنقلص بسخرية قبل أن تمسك بها اثنتان من الضيوف بمحبة ومودة لتقبلاها على خديها: «فتاة محظوظة!».

وتبادلتا نظرات تأملية نحو آش. وبدا أن الجميع يعتقد أنها المرأة الجديدة في حياته. وهذه سخرية لم تفت ملاحظتها على أي منهما.

وهكذا غادر آش ماكينون وكريستي الحفل معاً.. إنها تتجه نحو مياه عميقة جداً، بالفعل.

***

٢ ـ شر لا بد منه . .

ظهرت سيارة ليموزين يقودها سائق مجهول. صعدت كريستي إلى المقعد الخلفي، وبعد لحظة انضم إليها آش.

ساد الصمت لبرهة، بينما كانت كريستي تنظر من النافذة إلى الخارج، وقد تشوشت أفكارها بسبب أحداث اليوم.

قال آش بلهجة ساخرة: «كم أنا سخيف. . لقد نسيت أين تعيشين».

نظرت إليه بحزن.

ـ فليصلحني الله. . وأنت كنت تفكر بالسكن معي. إنه رقم عشرة داوننغ ستريت.

هذا، على الأقل، عنوان بعيد عن منزلها؛ في النصف الآخر من العالم.

ـ يا فتاتي العزيزة. . لقد غبروا الأقفال هناك.

ووقعت نظرته على وجهها الجميل، لتتحرك المشاعر متيقظة في دمه.

ـ إذن أقترح أن تجرب عنوان 121 شارع «شيلي بينش».

أنزل آش النافذة الفاصلة ليعطي التعليمات للسائق.

بعد بضع دقائق، قالت كريستي تعترف غير سعيدة: «أشعر أنني خجل من نفسي. . حقاً خجل».

رد ساخراً: «ربما كان يجب أن نضعك في السجن».

نظرت إليه. . لماذا هي مع هذا الرجل؟

ـ لم يكن الأمر بهذا السوء. . أليس كذلك؟

ـ هل تتطفلين على الأعراس من أجل المعيشة؟

ـ لم أستطع تحمل رؤية جوش يتزوج ابنة عمك، كم هي صغيرة! بحجم الدمية.

ـ حتى وقت قريب، كنت أظن أن لها دماغ امرأة. أما أنت، فعليك متابعة حياتك.

ولم يكن يريدها أن تحزن على ديكنز، ولا لدقيقة واحدة.

قالت تعتذر: «لا أريد حتى التفكير بالأمر لما لا يقل عن ثمان وأربعين ساعة».

ـ هذا أمر مفهوم، ولهذا السبب استأجرت الليموزين. فأنا لن أستطيع إيصالك بنفسي، وليس السبب في ذلك أنني لا أحتفظ بسيارة في المدينة.

تنهدت كريستي: «كان يجب أن أعرف هذا».

ـ كان يجب أن تعرفي حقاً.

ـ لا أعتقد أنك ارتكبت غلطة في حياتك؟

وألقت بثقل جسمها إلى الوراء مرهقة.

ـ أعتقد أنني أكره الطريقة التي قلت بها هذا، كل صديقاتي السابقات ما زلن يتحدثن معي.

ـ أراهن أنك سببت لهن وقتاً صعباً.

وأكملت: «أعرف أن بعض النساء يحببن الإثارة والخطر، لا بد أن هذا يجعلهن يشعرن بالحياة أكثر، وحكمي المهني هو أنك رجل خطير».

ـ كل ما يلزم هو محاولة معرفتي قليلاً.

ورمى ذراعه ليشدها إليه. كان يريد أن يواسيها، فقد بدت فجأة ضعيفة جداً.

سمحت كريستي لرأسها أن يرتاح على كتفه، وقالت: «أنت تعرف أنك لست القيّم علي».

ـ إني كذلك لهذه الأمسية.

وأرجع الخصل الذهبية اللامعة عن خديها: «ولأكون صادقاً، أنا أخشى أن تلحقي بهما».

جلست مستقيمة بيأس: «لقد تعلمت درسي».

ـ تأمل هذا صادقاً، فصديقك السابق وابنة عمي تزوّجا هذا المساء فقط.

صاحت كريستي بصوت مفكك: «حظاً سعيداً لهما».

أحست أنها مجهدة بحيث أنها لا تستطيع وصف مشاعرها: «لكنني أعرف شيئاً واحداً، لا أريد أن أتزوج رجلاً مثلك».

ولم يتظاهر بإخفاء السخرية: «أرجو ألاّ تتوقعي مني أن أطلب منك هذا».

ومن يعتقد نفسه؟

ـ الزواج هو آخر شيء أريد فعله، فالزيجات في معظم الحالات لا تنجح. وأعرف عدداً من الأزواج الذين انفصلوا عن بعضهم.

ابتسم بتجهم: «ألم تحسبي نفسك وجوش؟».

ـ حين أفكر فيك، تبرز كلمة إلى ذهني.

ألا يعلم أنها متألمة جداً؟

قال ممازحاً: «أرجوك لا تقوليها، أكره سماع الكلمات الخشنة والبذيئة من لسان امرأة. وكما هو الحال، أنا لست ميالاً للزواج.. إنه شيء يضطر الرجال لفعله للحصول على وريث».

أحست بالصدمة: «ما هذا القول العفن؟».

صمت برهة: «تعرّض المرء للخيانة ليس حكراً على المرأة، فمن المعروف أن الزوجات والأمهات يهجرن المنزل الزوجي ويتركن الدمار خلفهن.. والنساء لا يختلفن كثيراً في دوسهن على قلب رجل».

أجفلت كريستي من الحرارة المتصاعدة في صوته: «تبدو وكأنك كاره للنساء».

كشف عن ابتسامة ملتوية: «أحياناً أعتقد أنني كذلك. ربما كان هذا رد فعل على خلفيتي العائلية. لكن لنعد إليك، كريستي باركر، يمكن أن تكوني أكثر تعاسة إذا كنت عانساً كبيرة في السن».

احتجت: «لا تستخدم هذا الوصف، إنه لا يعجبني، فأنا متعصبة

لجنسي، وأشعر بالغثيان لكل الكلمات التي يصف بها الرجال النساء».

سأل بسخرية قوية: «ألا تظنين أنهن يستحقّن الكثير منها؟».

قالت كريستي وقد تكثف العداء الجنسي بينهما: «النساء لا يحتجن إلى الرجال. أعتقد أنهن يحتجن إليهم فقط في مراحل متفرقة من الرغبة».

وأمام دهشتها الكاملة، ونظراً للتوتر الذي ساد بينهما انفجر آش ضاحكاً. وكان صوته جذاباً جداً.. إنها تجد فيه أموراً جذابة بجنون. وشعرت باليأس، فهي لا تعرف ماذا تفعل بحضور هذا الرجل المعقد، وأغمضت عينيها. إن هذا الطراز من الرجال جديد عليها. إنه قوي جسدياً وكلامياً، وهي تعاني صعوبة في التكيف مع كل ما يحدث. ففي بضع ساعات تحولت من امرأة منبوذة متطفلة، إلى امرأة جديدة في حياة ملك المواشي آش ماكينون.

لكن هذا كله تمثيل.

صوت رجل همس بإغواء في أذنها: «استيقظي.. استيقظي».

ردت وهي لا تزال ناعسة: «ما.. ماذا؟ أنا بالتأكيد لم أغف؟».

وأحست بالتشوش والارتباك وهي تحدق إلى عينيه السوداوين العميقتين.

ـ لا بد أنك غفوت. فأنت لم تشعري أنني عانقتك.

ـ أنت لم تعانقني.

وكانت متأكدة تماماً من أنها كانت لتشعر بهذا، وفهمت سلفاً، أن آش ماكينون ليس من هذا النوع من الرجال.

قال متشدقاً: «لا.. لم أفعل. لقد تخيلت أنني عانقتك».

ـ أوه..

ولاذت بالصمت.

وكالسحر، وصلا إلى حيث تقع شقتها. وكان عطر الأزهار والأشجار ينبعث من الحدائق الأنيقة المحيطة بها. إنها ليلة ساحرة، مخملية ومعطرة. شعرت كريستي بالحزن الشديد، حتى أنها تثاءبت. وكان آش ماكينون

والسائق يحنيان رأسيهما معاً ويتكلمان.

ماذا يخططان؟ كان السائق يرفع رأسه إلى الوراء ويضحك، بعد كل جملة يتفوه بها آش. يا للرجال! بعد لحظة، جلس السائق وراء المقود، وألقى تحية صغيرة قبل أن يبتعد، ثم استدار باتجاه المدينة.

انضم آش إليها: «حسن جداً.. أيها شقتك؟ الطابق الأعلى؟».

ورفع رأسه الأسود إلى الخلف ينظر إلى المبنى المرتفع المكوّن من عشرين طابقاً.

قالت وهي تشعر باندفاع يشبه الذعر: «لا تكن سخيفاً. لا أستطيع تحمل أجرة أو ثمن الطابق الأعلى.. كما أنني لا أذكر أنني دعوتك للدخول».

ـ لكن يا عزيزتي الآنسة باركر، هذا أمر متوقع تماماً في هذه الظروف. أنت بحاجة إلى من يعتني بك.

ـ ولن يكون أنت سيد ماكينون.. أنا لا أشك أبداً في هذا.. بكل تأكيد، ليس أنت.

رد بطريقة عفوية وكأنه لا يبالي بالأمر: «لا بأس في هذا.. وكما بدا لي، هنالك الكثير من النساء اللواتي يتقاتلن من أجلي».

ـ الرجال ممن يرشحون مالاً هم كذلك عادة.

ـ... هذا كلام شرير.

وقام بحركة ساخرة للدفاع عن نفسه: «هيا آنسة باركر لقد مررت بيوم متعب».

وأمسك يدها، فأحست بالهزيمة المؤقتة، لأنها تركته يمسكها. فهي تستجيب بشكل غريب للإحساس بأصابعه الصلبة.

قالت بصوت مشدود: «حسن جداً، إذا كنت ستدخل لبرهة.. فتعال، أريد خلع هذا الفستان اللعين».

فهو يذكرها بمرارة شديدة بحفل الزفاف، وبالوقت الذي أضاعته.. وبالفشل.

نظر إلى رأسها الذهبي اللون للحظة، ثم نظر بعيداً. وسألها: «ألا تعتقدين أنك وقحة قليلاً؟».

وبالكاد سمعت ما يقول: «لا أستطيع تحمل هذا».

ولم يكن هناك ما تبقى لها سوى الحزن؛ فراقها عن أصدقائها السابقين لم يكن سهلاً حتى ولو كانوا رجالاً فارغين.

ـ لن أعطي قلبي لأحد مجدداً، سأقفل عليه في مكان ما داخل صدري.. ولن أعطي ثقتي لأحد.

ـ أوه.. توقفي عن الأسف على نفسك.. أنت صغيرة وجميلة.. لقد ورطت نفسك مع نذل، وهناك شبان طيبون في العالم. في المرة القادمة، قد يكون حكمك أفضل. فقد أمضيت كاليستا وقتاً في اختيار ثوب عرسها أطول من الوقت الذي أمضته في اختيار العريس.

لزما الصمت وهما في المصعد. كان يبدو رائعاً، فكرت بهذا بتجرد وإعجاب. إنه أمير بين الرجال. لكن آش ماكينون ليس من الصنف الذي يمكن أن تقع في حبه، كما أنه بعيد عن محيطها ولا يؤمن بالزواج.

مدت كريستي يدها لتزيل قصاصات الورق الزهرية عن كتفيه، وفكرت في أنه سيبدو أكثر روعة في ثياب العمل، قميص البراري والجينز، وحذاء الركوب في قدميه.

ربما سيكون مستوى جوش «غير ملائم» أمام هذا الرجل.

لمعت عيناه: «إذن ما هو الحكم؟».

ـ آسفة؟

وخرجا من المصعد معاً. وأشارت كريستي بحركة خجولة إلى شقتها الواقعة إلى أقصى اليمين.

قال: «أنا متدهش لأنك لم تلاحظي سني الذهبية».

ـ وهل لديك سن ذهبية؟

وقفت مسمّرة مصدومة وحدقت إليه في ذهول مذعور.

ـ لا، ليس عندي سن ذهبية.. لكن لو كان عندي فأنا واثق من أنك

كنت ستلاحظينها. هل تقيّمين الرجال عادة عن قرب هكذا؟

ـ أعرف أنك تبدو رائعاً، لكنني كنت أنظر بعيداً عنك.

ـ هاك.. أعطني هذا.

كانت تنعثر في تفتيشها وهذا شيء لم تفعله من قبل. أخذ المفتاح منها، وأداره في القفل وتراجع إلى الوراء لتتقدمه إلى الشقة ذات غرفة النوم الوحيدة الأنيقة.

في الداخل كان المكان مظلماً تماماً، ومد يده ليجد مفاتيح النور.

ودفعت شعرها إلى الوراء: «كيف فعلت هذا؟».

نظر إليها بتعبير ملؤه حيرة: «ماذا؟».

ـ كيف وجدت المفاتيح بهذه السهولة؟

ـ لقد أمضيت حياتي وأنا أتعلم كيف أرى في الظلام.

تنهدت: «آه.. من الرائع أن تكون ملكاً في تربية الماشية. ألن تجلس؟ يجب أن أخلع فستاني، ولن أتأخر، ثم سنشرب القهوة».

قال بجفاء: «خذي وقتك هل تمانعين لو خلعت ربطة عنقي؟»

ـ افعل ما شئت.

والتقت عيونهما فتغيرها إحساس غير عادي كاد يقطع أنفاسها: «لن أعود إلى هنا وأنا أرتدي غلالة نوم، إذا كان هذا ما تفكر فيه. وأنا أنوي أن أحرق هذا الفستان».

ـ أنا أفكر في أن عليك ارتداءه إلى الأبد.. يعجبني مكان سكنك. هل نفذت الديكور بنفسك؟

ـ حتى دهان الجدران، ولوحدي. يخطر لي الآن أن جوش كان يجد دائماً عذراً لتجنب أي شيء يقرب من العمل الجسدي القاسي.

جوش.. جوش.. لقد خرج من حياتها.

عندما أصبح لوحده، تجول آش بمعنوية في المكان المفتوح ما بين غرفة الجلوس وغرفة الطعام. إن غرفة المكتب في منزله أكبر مساحة من هذا المكان، لذا أخذ يخطو خطوات قصيرة كي لا يصطدم بالأبواب الزجاجية

التي تقود إلى شرفة صغيرة.

تقدم إلى الباب وفتحه ثم خطا إلى الخارج ليلقي نظرة على المنظر، أو ما يسميه أهل المدينة منظراً؟ يا الله.. لن يستطيع العيش في المدينة.. فكر بهذا ربما للمرة المليون. لن يستطيع أن يكون محتجزاً. لكن هذا لطيف كما هو عليه، شقة فتاة عاملة ناجحة.

وتساءل، بموجة غضب كان يمكن أن تسبب له المتاعب، ما إذا كان ديكنز قد عاش هنا معها، وتناول فنجان قهوته معها. وأمل أن لا يكون قد فعل. وراح يتصور هذا لكنه لا يريده.

كان الديكور أنثوياً بالكامل، مع ذلك يستطيع رجل أن يشعر بالراحة هنا. لديها ذوق عظيم، وحساسية.. حتى وهي تعيسة، يمكن أن تملأ المكان زهوراً، وأعجبه هذا. وأعجبته الكتب التي تقرؤها، فهناك الكثير من الكتب. لسوف تحب المكتبة الواسعة التي ورثها مع العديد من الإصدارات الأولى والوثائق التاريخية.. وأعجبته اللوحات على الجدران، رسم زيتي لها. جيد جداً، وفهم أن الفنان كان يحبها، فهذا ظاهر. وأعجبه كيف أن كل شيء كان نظيفاً، ومرتباً جداً. ستكون زوجة رائعة. فكر بهذا بنوع من التسلية بينما كان في الواقع مرتاعاً لأنها تريد زوج كالبستا الجديد. لكن، متى كانت آخر مرة وجد فيها امرأة مثيرة للعجب هكذا؟.. والرد كان أبداً.. وتركه هذا يشعر بالصدمة والفراغ.

أخيراً خلع ربطة عنقه الحريرية، ووضعها على طاولة جانبية. كان هناك صورة بإطار فضي لها مع شخصين، افترض آش أنهما والداها. كانت المرأة في الصورة تشبهها كثيراً، أما الرجل فكان جميل الطلعة، خشن الملامح، وله مظهر مميز. ولسبب ما اعتقد أنهما من أصحاب الأراضي. ربما يملكان مزرعة من نوع ما، والعيش مع الأرض يبني الشخصية، حسب خبرته.

غاص آش في مقعد بلون تفاحي أخضر. ألوان الربيع كانت تسيطر على الغرفة تنتظر دراما عودتها. وبدأ يفكر، ماذا يفعل؟ إنه ليس رجلاً تطيح به فتنة امرأة..

إنه يريدها. وصدمته الفكرة. لقد التقاها للتو، وفي أسوأ ظروف ممكنة. مع ذلك يريد هذه المرأة. . وافترض أن السبب هو كيفية عيشه لحياته. فهو دائماً يتخذ قرارات فورية، قرارات كبيرة. لكنه لم يستطع يوماً أن يتحمل أن يكون متهوراً. هذا جنون. كيف يمكنه أن يرغب في هذه المرأة التي تمزق نفسها إرباً من أجل رجل آخر؟ ورجل يكرهه. والأسوأ من هذا أنه متزوج من ابنة عمه. . وهو يعرف أكثر من أي شخص آخر ماذا يحدث لرجل يسمح لنفسه بأن يقع في حب عميق. وكأنما يسلم روحه. . لقد خدعت أمه والده قبل وقت طويل من تركها له، ولم يستطع إخراج خيانتها من رأسه، ولأكثر من عشرين سنة. كان والده أفضل رجل عرفه يوماً، لكنه لم يتمكن من الإحساس بشحنة عاطفية أخرى تسمح له بالزواج مجدداً. . وكانت والدته لا تزال مقدسة في ذاكرته، إلى يوم موته. ولو كان هو. . لو كان هو. .

- أوه يا إلهي. . ما الأمر؟

عادت كريستي إلى الغرفة وألقت عليه نظرة مذعورة. كان يبدو محبطاً، وتعبير وجهه أسود حزيناً.

أفرغ تفكيره من كل عنف: «لا شيء. أدخلي أكثر ودعيني أراك، ألم تغيّري رأيك؟ ما من خلالة نوم؟».

ردت ببرود: «أنت غريب فعلاً».

كانت قد ارتدت أول شيء وقعت عليه يدها، قميص زهري مطرز فوق بنطلون قطني أبيض.

- هل تريد القهوة؟

- القهوة هي الترياق السريع. آمل ألاّ تكون من ذلك النوع الذي يحضر فورياً؟ أوليس لديك شراب آخر؟

وجمد وجهها مع عودة الذكريات: «كنت أدع جوش يحضر معه شرابه. لكن هناك زجاجة مياه معدنية».

- فلتكن المياه المعدنية.

وأغضبته مجدداً مشاعرها نحو ديكنز: «ليس هذا ما خططت له تماماً لكن يكفي قهوة سوداء قوية، دون سكر. هل تريدين المساعدة؟».

- ليس هناك مكان لك. كم يبلغ طولك؟

- إذا كنت أذكر بشكل صحيح، ما يزيد عن ستة أقدام وثلاثة إنشات. . هل هذان والداك هناك؟

وأشار بيده نحو الصورة.

- أجل.

وعادت إلى غرفة الجلوس، ووجهها الجميل يتهلل بابتسامة.

- أنا أفتقدهما بشكل رهيب.

- أين هما؟

- لقد تربيت في مزرعة أغنام و «لاقاندر» في ڤيكتوريا. ولا يزال والداي هناك، ولن يتركا المزرعة. إنهما يحبان حياة الريف ويحيان بعضهما.

- وهل أنت ابنة وحيدة؟

- يؤسفني أن أقول أجل. لقد تكبدت والدتي الكثير من المتاعب لتنجبني، ولم يستطع والدي تحمل أن يخسرها. وهذا وضع حداً لعائلة كبيرة، لكنني لم أدلل أبداً في الواقع، تربيت في البرية.

- إذن أنت فتاة ريفية؟

- هل يضعني هذا في درجة ما؟

- أجل حقاً. . حين أتزوج. . ستضطر زوجتي إلى فهم ماذا تعني الحياة في البراري.

- تبدو رصيناً جداً وأنت تقول هذا.

ولم يقل إن والدته كانت فراشة اجتماعية جميلة. فتاة مدينة، مولداً وتربية.

في الواقع، كانت آخر امرأة يمكن أن يتزوجها والده. آخر امرأة يمكن أن تكون أماً لطفل، وكانت معجزة لو أنها بقيت طويلاً. لقد غابت عيد ميلاده العاشر، ولم يكن هناك احتفال. فقد هربت أمه الفاتنة. لقد

كانت زانية، لعنها الله. ولن يدع الحب يقف بينه وبين زواج ناجح.

أحضرت له كريستي فنجان قهوة من النوع الممتاز، يتصاعد منه البخار.

سألها: «وماذا ستتناولين أنت؟».

ولم تستطع إخفاء ما تشعر به: «حبتين من الأسبرين».

ـ عودي وأحضري بعض القهوة، وضعي فيها الكثير من الحليب.

ـ أنت الرئيس.

وسارت عائدة إلى المطبخ، ووضعت وعاء صغيراً من الحليب في «المايكروويف».

ـ أراهن أنك تكون رئيساً حتى وأنت نائم؟

ـ بالطبع أنا رئيس.. هذا عملي.. فما هو التالي آنسة باركر؟

دعكت بقلق الشق الصغير في ذقنها: «مثل ماذا؟».

وجلست قبالته.

ـ خطط المستقبل. أنت تدركين أن عليك انتزاع جوش ديكنز من حياتك، فقد انتهت القصة.

ـ واضح أنك لم تفهم شخصيتي بشكل صحيح.

قال: «لا تظهر عادة كل حبيبة سابقة في حفل زفاف».

ـ هيا.. تابع.. إدعك الجرح.

ـ أنا مضطر لهذا. فأنا متحيز جداً لمصلحة ابنة عمي.

تنهدت كريستي بحزن: «إنها فتاة محظوظة».

وتكور فمها الجميل قليلاً. فقال: «على أي حال، إذا كنت فتاة طيبة، وتصلّين بانتظام فإن السيد المناسب سيأتي».

وتباعدت عيناها الخضراوان: «السيد المناسب؟ ما الذي يجعل رجلاً «السيد المناسب» فجأة؟ أنا لا أريد التحدث عن السيد المناسب أو الزواج.. فأنا رافضة للفكرة».

ـ لاحظت هذا. حتى أنني أفهم كيف تشعرين، بعد أن احترقت.

الواقع أنني حذر من الزواج كذلك.

قال هذا مع مقدار كبير من السخرية من الذات.

ـ أرجوك، قل لي لماذا؟ فأنت لا تبدو حذراً من أي شيء.

قال ساخراً: «رأيت الكثير من الرجال يفقدون حكمتهم أمام المرأة».

ـ حسن جداً، لا تستطيع القول إن هذا ينطبق فقط على الرجال. فأنا الآن أشعر أن الحب هو مجرد كلمة من حرفين فقط، ولا يدوم بكل تأكيد. حسن جداً، لقد دام بالنسبة لوالدي، لكنهما مختلفان عن غيرهما.

ضحك ضحكة ساخرة: «وهل تفكرين في أنه لن تتاح لك فرصة؟ ماذا عن الزواج المدبر؟ هناك الكثير من الحالات الناجحة».

ـ لا يمكن أن تعني بقولك هذا إنك تفكر بالزواج من امرأة لا تحبك؟

ـ وامرأة لا أحبها كذلك. فلا وقت عندي للإثارة، وخطف امرأة وحملها وكل هذه الأمور. يمكن للمرء أن يتعلم أن يحب بكل تأكيد، وبالطبع لا بد من وجود ثقة واحترام، واتفاق على الأهداف ذاتها.

أبقت عينيها عليه: «وهل هناك شيء آخر؟».

ـ يجب أن تكون جميلة الطلعة، دافئة، شغوفة، تحب الأولاد، ذكية وقادرة على تحمل شراكة كاملة في أعمال أسرة ماكينون. وعلى الأقل، أن يكون لها دور.

ـ وزوجة لا يمكن أن تكون خائنة؟

تحولت العينان السوداوان اللامعتان إلى قطعتي زجاج.

ـ لماذا قلت هذا؟

أخذت نفساً سريعاً: «أرى أن كلامي قد أصاب وتراً حساساً؟ أنت تنظر إلي وكأنه لا يمكن الوثوق بي».

ـ نساء بجمالك قد لا يكن أفضل الزوجات.

تعالى الاحمرار إلى وجهها: «حقاً؟ أنت كاره حقيقي للنساء، أليس كذلك؟».

ـ أنا فقط ضد الطلاق.

وبدا جدياً جداً.

وكادت كريستي تقف، تحتاج لأن تفعل أي شيء ما عدا أن تكون مرتاحة معه: «أتريد المزيد من القهوة؟».

ـ لا.. هذا يكفي. أنت لن تبكي، أليس كذلك؟ لقد كنت عاطفية جداً طوال الليل.

قالت بقوة: «لا لن أبكي.. أنا لا أفهم الرجال. بإمكانك الحصول على أي امرأة تريدها.. تلك الوصيفة التي كنت تتحدث إليها مثلاً؟ وكان هناك ما لا يقل عن دزينة أخريات أصبن بخيبة الأمل لأنك كنت تعلقني في ذراعك. هل من الممكن أن تخفي تحت هذا المظهر الخارجي المهيب، خوفاً من النساء؟ هل تبدو مثل الفهد بينما أنت في الواقع جرو صغير؟».

نظر إليها متفحصاً ببرود: «لا أستطيع أن أصدق أنك قلت هذا. في الواقع، أنا أريد الكثير كريستي، وأنت متبوذة حديثاً، لهذا لديك أشياء كثيرة تقولينها».

رن جرس الهاتف، لينقذ كريستي من الرد. وأجفل كلاهما.. واتجهت كريستي لترد.. من المتصل في هذا الوقت من الليل؟ وقفز تفكيرها فوراً إلى والديها.. فالحوادث تحصل في المزارع أحياناً. وبأعصاب مشدودة تكلمت عبر السماعة: «كريستي هنا».

وساد صمت من الجهة الأخرى ثم جاء صوت رجل منخفض جداً حتى كادت تطلب منه أن يرفع صوته، لكن الصوت كان مألوفاً: «كريستي.. كريستي.. لا تقفلي الخط».

وانقبض قلبها من الصدمة، وشعرت بالسقم والغضب وعدم التصديق المطلق.

ـ أرجوك.. اسمعيني.

ـ لا يد أنك تمزح. لا بد أنك تمزح!

وتغيرت الكلمات بينما قبل أن تستطيع إرجاعها..

وقالت آش ماكينون على قدميه، وسأل بصوت قاس: «من هذا؟

ديكنز؟».

وأقفلت السماعة فوراً.

ـ لا تكن سخيفاً، رقم خاطىء. كان يطلب امرأة تدعى «بادروسكي» أو «بوبادبا منتريس» أو شيء من هذا.

حرّك لسانه مزدرياً: «أستطيع التفكير ببضعة أمور أنت جيدة فيها ما عدا الكذب.. من أين يتكلم، من الفندق؟ سأذهب إلى هناك».

وأصابها هذا بالذعر: «قلت لك إنه رقم خاطىء».

ورن جرس الهاتف مجدداً. لكن آش وقر عليها مشقة الرد، ورد عاصفاً: «ماكينون يتكلم».

آخر ما حسب جوش حسابه هو أن يكون آش ماكينون في شقة كريستي، التي أحست بإثارة سرية.. ولو لم يبدُ ماكينون كمن يرغب في إعدام أحد، لأمكنها أن تضحك.

علق آش السماعة. واضح أنه أرعب المتصل: «لو كان ديكنز هنا الآن لأرسلته إلى المستشفى. إنه هو المتصل.. أليس كذلك؟».

وجدت كريستي نفسها تتوسل: «لا تقفز إلى استنتاجات خاطئة».

كان من السهل عليها عادة التعامل مع الآخرين، لكن ليس مع ملك الماشية، لا مجال: «كان رقماً خاطئاً، وهذا يحصل غالباً».

نظر إليها دون ذرة تصديق: «كمحاولة لحماية حبيبك القديم، هذا مثير للشفقة».

وهكذا كانت. لكن الموقف برمته صعب جداً، وهي السبب في ذلك.. لم يكن عليها أن تتطفل أبداً على العرس، مهما أساء إليها جوش.. لكنها رفضت أن يرهبها.

ـ حسن جداً.. أنا أحاول حماية كاليستا.. منك، بقدر حمايتها منه. هل تريد الذهاب إلى المدينة لتضربه؟ بالرغم من كل كلامك عن البرود والتعقل، أنت رجل سريع الغضب.

ومدت يدها تلمسه بعطف.. كما قد يحاول شخص شجاع أو غبي أن

بلاطف قطاً كبيراً: «أرجوك، استرخ.. واجلس».

وردد آش بذهول: «من المفترض أن يكونا في شهر العسل، وهو يتصل بك؟ هذا يكفي لجعل أي شخص يصاب بدوار».

واستخدمت كريستي قليلاً من سخريته: «لقد حصل هذا كثيراً من قبل، إنه نوع من الخيانة، لكنه يحدث. والواقع أنك لم تحصل على الانطباع الصحيح عني».

تحداها، ينظر من فوق أنفه المستقيم الرائع: «إذن علّميني».

ـ لا أتوقع أن تصغي.. فأنت لديك أحكامك المسبقة. لكنني لا، وأكرر، لا أعبث مع رجال متزوجين. وبالنسبة لي، ثمة حدود لا أتخطاها.

رد بحدة: «كلمات رائعة».

وكان تعبير وجهه مثيراً للسخط، وقبل أن تعرف، كانت يدها في منتصف الطريق، تحمل كل ثقل تعاستها خلفها. وأمسك بها، يأسر ردة فعلها الغاضبة. وقال بصوت خطير وهي تقف مترنحة: «الآن، هذه سابقة. ما من أحد لوّح بيده نحوي من قبل.. على الأقل ليس امرأة. أريد أن أصدقك كريستي باركر، لكن على القول إنني منزعج تماماً».

ـ ألا يمكن أن تفهم أنني أشعر بالطريقة ذاتها؟

وركزت بقوة على دعك معصمها. ولم يكن قد آلمها، بل استخدم ما يكفي من قوة لوقف الضربة، وتركها ترتجف.

ـ كان يوماً مميتاً.. يوم من النوع الذي يصرع، وأنا حقاً بحاجة للذهاب إلى الفراش، وعلى الفور.. في هذه الدقيقة.

لمعت عيناء البراقتان بمرح أسود مفاجىء: «ربما يجب أن أبقى في حال قررت الاتصال مجدداً بديكنز؟».

تمتمت: «لا أستطيع أن أصدق كم أنت ظالم.. ولو أنني لا أهتم.. وبعد التفكير، لن أراك مجدداً».

وكان يعي كم يريد تغيير هذا الموقف، وبعنف: «أنت لا تصدقين ما

تقولين، مثلي تماماً».

قال هذا بصوت غير مصدق، وبنوع من السخرية أصبحت معتادة عليها. وكان في صوته شيء أقل وضوحاً، ومهما يكن هذا الشيء، فقد أرسل موجات صادمة في جسمها. مشاعر من الصعب جداً التعامل معها في هذا اليوم بالذات.

ـ سأكلمك غداً.

سألته بحيرة، محاولة إيجاد مفتاح لحل لغز العمق الذي في عينيه: «في أي موضوع؟».

قال دون اكتراث: «للذهاب إلى مكان ما. لست مضطراً للعودة إلى دياري حتى نهاية الأسبوع».

هذا غير صحيح.. لكن ما الفائدة! وتعجب كم تغير تركيزه تماماً: «أنت بحاجة إلى شيء يخرجك من بؤسك، فأنت لم تحبي ديكنز.. لا يستطيع أحد أن يحب أحداً من غير روح».

قالت كريستي: «ظننت أنني أحبه».

وارتعبت حين أحست بالدموع تتجمع في عينيها، لا تستطيع أن تبكي أمام هذا الرجل. إنها تراه مثل.. أوه.. يا الله، كيف تراه؟

ـ أنت تتكلم عن الروح.. وأنا لا أستطيع الثقة بقلبي.

وانهمرت الدموع.

مرة أخرى ظهرت تلك الابتسامة البيضاء الملتوية: «أنت لست الأولى. أحياناً أعتقد أن الوقوع في الحب شر لا بد منه، وأعرف أنه سبب وجودي هنا. لكن قد يكون من الأفضل لنا نحن الاثنين، لو استخدمنا عقلينا».

تطلعت كريستي بعيداً عبر الغرفة: «أنا لست حكيمة هكذا، كما أخشى. ولست باردة الدم كذلك».

رفع رأسها بيد تحت ذقنها: «لا.. فبشرتك مثل الحليب الدافىء».

وأمعن النظر في عينيها ليرى انعكاس صورته وثارت ثائرته فوراً: «إذا كنت ستستلقين صاحية طوال الليل تفكرين بقسوة الحياة وظلمها، وبمدى

حبك لديكنز، فلما لا أعطيك شيئاً آخر تفكرين به؟».

وبذراعه الأخرى شدها إليه بقوة، ثم عانقها.

وكان عناقاً منفذاً بدقة على يد معلم، عناقاً سيبقيها صاحية لساعات.. وتراقص قلبها بجنون، وكأنه عصفور غريد جميل داخل قفص. وأحست بشرارات من نور خلف مقلتيها، وعرفت أنه كان يعانقها. لكنه كان بكل براعة يستدرج الاستجابة منها.

وأحست بالاستجابة.. وتسارعت ذبذبات كهربائية بسرعة البرق في أطرافها. وكان عناقاً لم تعرف له مثيلاً.

حين أبعدها أخيراً، استطاعت سماع أنفاسه، وخشيت أن يسمع آهاتها الصغيرة.. وكانت ترتجف بجهد كي تستوعب كل هذه المشاعر الجديدة عليها.. ماذا يحاول أن يفعل؟ أم أن كل هذا كان مجرد إثبات وجهة نظر؟ ولم تستطع أن تجد الكلمات لتسأل، فقد سرق منها كل أنفاسها.

أمسك يديها: «أعتقد أن لهذا نتائج، ولا أتصور أنه أعاد إليك إيمانك بالحياة، لكنه على الأقل هزك قليلاً».

لقد هزها كزلزال.. ورفعت رأسها تحدق إليه بعينين مكتئبتين: «أنا لم أطلب هذا أبداً».

وأعطاها الابتسامة الساخرة التي كانت تنتظرها بفارغ الصبر: «من يعرف.. قد يكون هذا قدرنا».

أشاحت بوجهها: «على الأقل، يجب أن أشكرك لمنعك لي من أن أبدو حمقاء كلياً».

وتسللت دمعة وحيدة على خدها. وللمها آش بأصبعه وقال بصوت أجش: «هاك.. لقد ذهبت.. مزيد من الدموع من أجل ديكنز».

سألت بهدوء: «وهل يجب أن أقسم على هذا؟».

هذه المرة بدا أن الابتسامة لم تكلفه جهداً: «يجب عليك.. كرري من ورائي: أنا كريستي باركر..».

وتركته يحصل على ما يريد.

ـ أنا كريستي باركر..

ـ لن أسمح أبداً لجشوا ديكنز..

ـ لن أسمح أبداً لجشوا ديكنز..

ـ أن يعود إلى قلبي مرة أخرى.. والأكثر من هذا لن أفعل ما يهدد أو يدمر زواجه.

وأجفلت متألمة.. وبلل طرف لسانها شفتيها المرتعشتين.

ـ قوليها.

وكان تعبيره لا يزال جاداً، وأسود بشكل غريب وأطاعت، وقد وقعت تحت سحره.

ـ لن أفعل شيئاً أبداً يهدد أو يدمر زواجه.. هاك.. هل يرضيك هذا؟ لأنني لن أستطيع تحمل دقيقة أخرى.

وغادرت الظلال الغائمة وجهه تدريجياً: «هذا قسم ستلتزمين به تحت طائلة العقوبة. ولقد انتهى هذا، سأتركك تذهبين إلى الفراش، كريستي».

واستدار ليجد ربطة عنقه، ودسها في جيبه، ودفعت نفسها لتسأل: «كيف ستعود؟ دعني أطلب لك سيارة أجرة».

ـ لا تزعجي نفسك.

وأطرق برأسه ينظر إلى اليد التي وضعتها عفوياً على ذراعه، وأكمل: «أستطيع أن أسير».

هزت رأسها: «المكان بعيد جداً».

كانت تعرف أنه يقيم مع السيدة مرسيدس ماكينون.. وقال ساخراً: «يبدو أنك لا تتذكرين أنني من البراري.. فكرتك عن الأميال هي مجرد خطوة، قفزة. إضافة إلى هذا، لدي بضع أفكار ضبابية في رأسي أريد الخلاص منها، والسير على الأقدام سيفيدني كثيراً».

واستدار عند الباب.. طويلاً، أنيقاً، نشيطاً وساحراً. رجل كهذا يمكن أن يهز أيّ امرأة حتى أعماق أعماقها.

ـ سأتصل بك حوالى العاشرة غداً، وسنخرج طوال اليوم.. سنقوم

برحلة إلى المحيط، أو الجبال، ونتناول الغداء في مكان ما.. أيناسبك هذا؟
ومن يستطيع الجدال مع هذا الرجل؟

* * *

٣ ـ اقتراح غريب!

لزم كريستي بعض الوقت في الصباح لتتمكن من النظر إلى نفسها في العين مباشرة. ففي مثل هذا الوقت من يوم أمس، لم تكن تعرف آش ماكينون.. في مثل هذا الوقت من يوم أمس، كانت تعتبر نفسها في ورطة مؤسفة، فقد خانها الرجل الذي ظنت أنها تحبه، وكانت على استعداد لتسبب له شيئاً من الخوف بتطفلها على حفل زفافه.. ولكن ما هو حالها الآن؟ واضح أنها متقلبة، فالفكرة تغمرها بالخجل والحرج. وفيما أحست بالألم لخيانة جوش، ترك رجل آخر انطباعاً كبيراً عليها.. فهل هذا أمر طبيعي؟ وهل يمكن لأية امرأة أن تخضع لمثل هذا الرجل الديناميكي؟

كانت تفكر بشكل محموم حين رن جرس الهاتف.

وحيّتها صديقتها مونتانا بأنفاس مقطوعة: «إذن، كيف كان العرس؟ هل تسببت له بذعر حقيقي؟ ومن ناحية أخرى، هل رموك إلى الخارج؟ لم أجد شيئاً في الصحف ما عدا الكثير من المديح للعروس وجماعتها الثرية».

سألت كريستي: «هل تريدين حقاً أن تعرفي؟».

كانت قد أفضت بسرها إلى مونتانا قبل ساعة من توجهها إلى العرس.. ولأن مونتانا هي مونتانا، فقد شجعتها على ذلك.

وصاحت مونتانا بإثارة: «ولماذا تعتقدين أنني أتصل؟ أكاد أموت فضولاً لأعرف».

وأخبرت كريستي صديقتها عن كل شيء بالتفصيل، حتى عن زينة الموائد. وقالت لمونتانا كل شيء عن حفل الاستقبال، وكيف أنقذها آش

ماكينون من. . .

قاطعتها مونتانا بشكل مسرحي، وكأنما تتخيل السيناريو كله: «آش؟ آش ماكينون! لطالما أردت أن ألتقي رجلاً اسمه آش ماكينون، ملك تربية المواشي! أنت محظوظة، محظوظة. . ولو لم أكن أحبك، لكرهتك لأنك جميلة جداً دون أن تقومي بجهد لتصبحي كذلك. . وهذه نقطة محزنة لي».

سألت كريستي بصبر: «ألا تريدين الاستماع؟».

كان لمونتانا جسم أهيف شهي، لكنها لم تكن قادرة على العيش دون ميزان في حمامها ولا دون نظام حمية مقصور على التفاح.

دعتها مونتانا: «أخبريني بكل شيء».

ـ كان يفعل ذلك من أجل ابنة عمه. فهو مولع بها إلى أقصى حد.

ـ أنت امرأة من النوع الذي يدفع الرجل إلى الجنون. . وأنا شخصياً أعتقد أن هذا أمر مبالغ فيه. . يا ذات الشعر الأشقر الطويل.

ـ قد تكونين على حق. . لكن جوش لم يكن سيلتزم به، أو بي. . فقد ابتعد بسرعة عني من أجل فتاة لديها الكثير من المال.

ـ حسن جداً. . جوش ديكنز كان كيس نفايات. وسوف أتظاهر بأنني لم أكن أهتم به.

مازحتها كريستي: «ولقد قمت بعمل جيد».

وصاحت مونتانا وكأن ما تقوله يفسر كل شيء: «كنت تظنين أنك تحبينه. . وشكراً لله كان فراقكما سهلاً. وتستطيعين البدء من جديد. . أقيمي علاقة مع ماكينون».

ـ آسفة. . هذا خطر جداً.

ومع أن مونتانا لم تكن تراها، إلاّ أنّ كريستي هزت رأسها بقوة.

ـ أراهن أنه رائع؟

قالت كريستي بجفاء: «يجب أن تريه».

تأوهت مونتانا: «أريد رؤيته. هل تظنين أنه قد يغريني؟».

ـ بالكامل. . كان يمكن أن يغريني لو لم تمر بي مثل تلك التجربة.

ـ وكم تظنين عدد من أغريتهم؟ خمسة؟ ستة؟

وضحكت: «من المحزن حقاً أنك اضطررت لاكتشاف أمر جوش بالطريقة الصعبة حبيبتي. لكن شيئاً رائعاً مخبأ لك، وتذكري ما كان يقال عنك في الجامعة؟ سينتهي بك الأمر شهيراً».

ـ كلام تقوله امرأة طالما صوتت لي.

ـ إذن، كيف هو راعي الماشية؟

ـ أنا واثقة من أنه رائع.

ـ يا إلهي. . لا بد أنك وقعت في حبه؟

ـ من الصعب الوقوع في حب شخص ما وأنت ما زلت تحاولين شفاء قلبك المحطم.

قالت مونتانا تنصحها بلطف: «لا تدعي هذا يضللك طفلتي. . إذن ستقابلين ملك الماشية مجدداً؟».

اعترفت لها كريستي: «في الواقع سنخرج معاً طوال اليوم».

وفكرت أن الطريقة التي تتصرف فيها غريبة.

وأكملت: «أنا أنتظر زيارته».

صاحت مونتانا بعجب: «ما رأيك بهذا! ألم أقل لك، يمكنك دائماً ركوب الموجة. سوف أقفل الخط في حال أراد أن يتصل، اتصلي بي الليلة، هه طفلتي؟».

ـ سأفعل.

ورمت كريستي بقبلة عبر الهاتف.

حين جاءت مكالمة آش ماكينون، اضطرت كريستي لأن تسرع خارجة من الحمام لترد، وهي تلف جسمها بروب حمام محاولة عبثاً نفسها.

سأل: «كيف حالك اليوم؟».

ـ أنا بخير.

كانت تعي بشكل مضاعف صوته الجذاب. فالأصوات مهمة جداً لها. وجدته بالضبط يتناسب مع صورته: ساحراً، وعميقاً، وأسوداً، وحاداً نوعاً

ما.

ـ إذن، هل قررت إلى أين تريدين الذهاب؟

تحدثه كريستي: «وهل يأتي هذا في سياق إبقائي تحت المراقبة؟».

ـ ربما كان هذا صحيحاً كريستي.. لكنني أحب رفقتك أيضاً. هل تفكرين بالشاطىء؟ فأنا لا أرى كثيراً من المحيط الهادىء الأزرق حيث أقيم، بل أميالاً لا نهاية لها من الصحراء.

قالت كريستي التي سافرت كثيراً، بشيء من الحماس: «ألدرو» هو أحد الأماكن المفضلة لديّ على وجه الأرض».

و«ألدرو» هي أشهر تلة تمتد على شكل عمود في منطقة «ردسنتر»: «إن الشاطىء هناك عظيم. وكنت أنا وجوش نذهب..».

وصمتت متأوهة، قرفة من نفسها لهفوتها.

واختلطت العدوانية مع صوته: «وهل تظنين أنني أريد أن أسمع هذا؟».

ـ لقد تكلمت من دون تفكير. أحتاج إلى وقت لأتخلص من الماضي القديم، وقت لأشفي الجروح القاسية وأنسى الكدمات.

ـ جوش يا عزيزتي كريستي، تزوج من امرأة أخرى. وكما قلت من قبل، من الأفضل أن تبعدي كل تفكير به عن دماغك.. والواقع أنك أقسمت على هذا.. أتذكرين؟

قالت بشيء من العدوانية: «وهو قسم ستلزمني به».

ـ أتوقع منك أن تلزمي نفسك به. وستتكلم عن كل شيء خلال اليوم إذا أحببت. ابنة عمتي نيكول وزوجها براندن يملكان منزلاً على الشاطىء في «توزا». ربما تذكرينهما من ليلة أمس.. لقد قدمتك لهما.

فكرت كريستي بكل الناس الذين التقتهم. عادة كانت تتذكر الجميع: «لا أعتقد هذا! لم أكن في أفضل حال ليلة أمس».

ـ حسن جداً، هما يذكرانك.. ولدى نيكول انطباع بأنك سرقت قلبي.

ـ أتذكر الآن، نيكول وبراندن، بالطبع. براندن مهندس أليس كذلك؟ لقد تحدثنا للحظات لكنني أحببتهما، وصدمني أن عينيّ نيكول حزينتان.

ساد الصمت لحظة، ثم قال بصوت هادىء: «أنت دقيقة الملاحظة كريستي. لقد فقدت تلك طفلتها قبل وقت قصير، وبقيت مريضة لفترة. عاشت الفتاة الصغيرة ليوم أو يومين.. لقد دُمرا تماماً».

وتعاظمت الشفقة في قلبها.

ـ أوه.. لا شك في هذا، أنا آسفة جداً. هذا أسوأ من تحطم قلبي.

ـ ما عدا أن قلبك لم يتحطم. لقد أُهينت كرامتك، وهذا كل شيء. وستدركين هذا أكثر فأكثر مع مرور الأسبوع. على أي حال، دعتنا تلك على الغداء، وإذا كنت تخجلين أو تفضلين ألاّ تذهبي، فسنذهب حيث نشاء.

ـ أنا لست شخصاً خجولاً.

وفكر بالطريقة التي ردت بها على عنائه: «أعرف هذا كريستي. فالخجل أمر لا يصدق لامرأة جميلة..».

قاطعته: «هذا عدا ذكر أنني عضو فعال في مؤسسة علاقات عامة رائدة».

ـ آه.. أجل.. شركة وايتلو أليس كذلك؟

ـ لديك ذاكرة جيدة.

ـ لقد خطر الاسم ببالي.. ثم كان هناك المصورون، بالرغم من أننا حاولنا مراوغتهم فقد نادى أحدهم: «كريستي، انظري إلى هنا!».

قالت تشرح بخفة: «نحن نحضر المناسبات ذاتها.. إذن فليكن الغداء مع نيكول وبراندن؟».

ـ أعتقد أنك ستتمتعين به.. لك فتاة شجاعة، ولديهما ولدان آخران. ولدان صغيران عظيمان؛ كايت في السادسة وأنا عرّابها.. وكيت، كريستوفر، في الرابعة.

وبدت الابتسامة في صوت كريستي: «لدينا قاسم مشترك، اسم».

قال بطريقة سببت لها الارتعاش: «واسم جميل. بقي أن تحملي معك

ثوب السباحة.. فأنا أنوي الغوص بين الأمواج».

كان منزل بويدز الحديث على الشاطىء، يحتل قمة تلة صخرية تطل على المحيط العظيم.

قالت كريستي معلقة، وهي ترفع نظرها إلى المنزل من على الطريق: «يا له من موقع رائع».

كانا يقودان السيارة لأكثر من ساعة وهما الآن على وشك الوصول.

رد آش بابتسامة: «كما ترين، المنزل يستفيد بالكامل من المنظر، ولقد صممه براندن. لطالما رغبا في منزل على الشاطىء، خاصة بعد مجيء الأولاد، إنهما يسميانه «المنصّة»».

ـ ويا لها من منصة!

ضحك آش: «في الواقع، بالرغم من أن الواجهة الأمامية مذهلة جداً، إلا أنني أفضل المنزل كما أراه من الشاطىء، يبدو لي كمنحوتة عملاقة».

ـ إنه بالتأكيد كبير.

ما من أحد يستطيع بناء منزل كهذا دون ثروة عائلية.

قال موافقاً بعفوية: «أعتقد أنه كذلك، الجناح الغربي هو للعائلة أو الضيوف حين يأتون في زيارة.. والد نك دبلوماسي، ومركزه في أميركا. لكن نك لا ترى والديها كثيراً هذه الأيام.. أمها من أسرة ماكينون.. كارولين شقيقة أبي الراحل. كان له ثلاث شقيقات إحداهن قتلت حين وقعت عن حصانها وهي في السادسة عشرة، لم تقتلها السقطة، لكن الحصان أجفل ورفس رأسها.

ـ هذا مريع.

إذن، هذه ليست حياة محظوظة، ونظرت كريستي بعيداً. وهي تفكر كم سبب ذلك للعائلة من ألم.

أطرق برأسه والخذ وجهه الوسيم تعبيراً مشدوداً: «ولم يتغلب جداي على حزنهما.. على الأقل لم يعيشا ليواجها خسارة ولديهما، والدي ووالد كاليستا. فقد قتلا في حادثة تحطم طائرة خفيفة، بعطل ميكانيكي.. وقعت

هكذا ببساطة من الجو».

أحست كريستي، ذات القلب الرقيق، بحاجة لأن تمد يدها إلى يده، لكنها لم تجرؤ: «إذن، كانت الحياة ظالمة؟».

ـ كثيراً.. في زمن ما، ظننت أن هذه هي طريقة الحياة.

ـ ووالدتك.. هل تعيش في المزرعة؟

وأدارت كريستي رأسها لتنظر إليه، إلى أنفه المستقيم المكتمل، وفمه الواضح، وذقنه القوي وخط فكه، إنه رجل وسيم في العمق.

قال لدهشتها: «أمي تركتني وأنا في العاشرة من عمري».

قال هذا دون تعبير. مع ذلك، نظرت كريستي إلى يديها، فهناك رنة في صوته حذرتها من السؤال عن السبب.

أكمل يشرح بعد وقفة مشحونة: «كانت متلهفة لبدء حياة جديدة».

سوف تسمع هذا عاجلاً أم آجلاً، وأكمل: «كانت أمي قد ضجرت حتى الدمار من العزلة، ومن التحديق إلى الأفق.. إنها فتاة مدينة مولداً وتربية، واحتاجت إلى الكثير من الأضواء والتسلية».

كانت المرارة وعدم الاكتراث متوازنين في صوته وسألت كريستي بهدوء: «وهل تطلق والدك؟».

ونظر إليها نظرة ماكرة مشرقة: «بالطبع كريستي. وتزوجت أمي مرة أخرى.. وبسرعة أذهلتنا كلنا. في ما بعد اكتشفنا أنها حامل».

ـ أوه.

حسن جداً هذا يشرح سبب الهرب والسرعة، وقالت: «إذن، لديك أخ أو أخت، نصف شقيق».

ـ هذا ما يبدو.

ـ ألا تعرفه أو تعرفها؟

ولم تستطع كريستي أن تصدق، وهي الفتاة الوحيدة المحبوبة لوالديها.

ـ مرة أو مرتين فكرت في أنني أود التعرّف إليه.. وهو على فكرة أخ، الدون موس هانتغتون الثالث.

إذن، والدته لم تهرب مع رجل عادي.

سألت: «لكنك رأيت أمك في ما بعد؟».

وأحست بالعذاب لأجلهم جميعاً. وبدا لها أنه كان دون شك أجمل ولد وهو في العاشرة من عمره، أسود الشعر مجعده، مع هاتين العينين الرائعتين. وما من أم يمكن أن تدير ظهرها لمثل هذا الولد، أو أي ولد من لحمها ودمها.

هز كتفيه بحزم: «الفترة قصيرة. زياراتي لها لم تكن ناجحة.. فقد كرهت زوجها.. يحزنني أن أقول إنني كرهتها. كنت صعب المراس جداً، وفي حرب دائمة مع الجميع، رغبتي الرئيسية كانت الابتعاد عنهم والعودة إلى والدي».

ـ من الطبيعي أن يؤثر بك هذا.

تكور الفم الجميل: «الفترة طويلة. لا بد أنني خرجت عن السيطرة، لكن في النهاية كان عليّ أن أتقبل الواقع. وفعلت هذا، لكن والدي لم يستطع تقبل أن تكون زوجته الجميلة قد تركته. كان يحبها، وكان فخوراً جداً بها. كان لها كل شيء تريده امرأة، لكنها رمت كل شيء في وجهه».

سألت كريستي بهدوء: «وأين تعيش الآن؟».

ـ بين كاليفورنيا ونيويورك، ولو أنهم يقضون وقتاً في أوروبا. فزوجها ثري مميز، حتى أنه كان أكثر ثراء من والدي.. ولو أنها أقسمت أنه الحب.. الحب.. يا إلهي!

قالت بحزن، وتفكيرها مشحون فجأة بصور عن الخائن جوش: «لا نستطيع حماية أنفسنا منه.. فهو يتمكن منا بغض النظر عن الحكمة أو الإرادة. وأحياناً لا يتركنا أبداً».

ـ لم يترك والدي أبداً. وكنت جامحاً في تلك الأيام. ما فعلته، لا يمكن غفرانه في كتابي.. إنه ظالم جداً جداً.

إنه يتذكر جيداً الوحدة التي تحملها والده، ويذكر تحطم قلبه، فالرجال لا يخففون من مشاعرهم بالدموع.

ـ أتعتقد أنه كان عليها أن تبقى؟

وأثاره هذا.

ـ أجل.. أعتقد هذا. أعرف أن الواجب كلمة قديمة الطراز. لكن كان يجب أن تحاول العيش بحسب قسمها.

ـ إذن القسم مهم جداً لك؟

نظر إليها بسخرية: «مهم جداً، أرجوك كريستي.. وفري علي التحليل النفسي هذا. يجب على الناس ألاّ يتزوجوا إذا لم يكونوا مستعدين لوضع كل ما في وسعهم في هذا الالتزام».

ـ مع ذلك، هناك شيء يسير بطريقة خاطئة. وهذا يعني أن الناس يتغيرون، ويتجهون في اتجاهات مختلفة. والرجال هم أسوأ المنتهكين لهذا الالتزام، والعديد منهم يتجه إلى عدد من النساء. أنا مثلاً، لم أكن أعلم أن جوش يقابل ابنة عمك حتى ذلك المساء الذي مررت به أمام المحكمة ورأيته يعانقها.

نظر إليها بسرعة بعينين ساخرتين: «وماذا فعلت.. رميتهما بحجر؟».

ـ لا.. لقد أكملت طريقي، وواجهته في اليوم التالي.

ـ وماذا قال؟

وبانتظار ردها خفف سرعة سيارة المرسيدس، سيارة زوجة عمه التي كانت تحب السيارة لأجل اسمها. لكنه كان آخر شخص تفكر كريستي في أن تطلعه على ما جرى.. ولم تجد أي خيار سوى أن تكذب كذبة بيضاء.

ـ شرح لي أنه لم يعد يحبني.

تأوه: «لماذا أجد صعوبة في تصديق هذا؟».

ـ هكذا كان الأمر، وأظنه اتصل ليلة أمس ليعتذر لعدم اعترافه بي في حفل الاستقبال.

ـ وتعرفين أن هذا ما قاله.

وكانت سخريته متجهمة.

حدقت فيه: «ماذا تعني؟».

ـ أكنت تظنين أنني سأترك تلك المكالمة تمر بسلام؟ لا يعجبني الناس الذين يلعبون بقذارة. ولقد احتاج ديكنز إلى تحذير.

أحست كريستي بهزة في جسمها.

ـ أنت لم تذهب إلى الفندق بالتأكيد؟

ـ اسمعي.. كنت مستعداً للدخول الفراش معهما لو ساعد هذا الموقف.. لكنني اتصلت من الردهة وأسرع عزيزك جوش إلى الأسفل.

ـ إنه ليس عزيزي جوش.

رد بحدة: «بالتأكيد لم يعد كذلك. لكن هذا لا يجعلني أفضل حالاً».

ـ وماذا قلت له؟

وارتجفت كريستي وهي تتصور المشهد.

ـ قلت له إنه قد لا يرغب في جعلي عدواً له.

قالت: «حسن جداً. وأنا لا أريد جعلك عدواً لي، فأنا أرغب في حياة هادئة».

ـ أعتقد أنك ستحصلين على حياة هادئة حين تصبحين عجوزاً جداً، جداً. كل ما استطاع ديكنز أن يفكر فيه، كان حماية نفسه، وعلى حسابك، أو على حساب أي كان. وهذا ينطبق على كاليستا. وأنا لا أعطي هذا الزواج فرصة ستة أشهر.

ولم يكن أي جزء من كريستي سعيداً بهذا، وقالت: «هل قال لك أحد يوماً إنك عيّاب جداً؟ فقد تحبه كاليستا بما يكفي لتغيره، فهي تبدو شخصاً محباً جداً، حلوة ولطيفة».

قال بصوت ساخر: «عن قرب، يمكن لكاليستا أن تكون قاسية. فهي من أسرة ماكينون فعلاً».

هزت كريستي كتفيها وبدا عليها الانزعاج: «وماذا يعرف أي منا عن أي شخص كان».

مد يده يلمس يدها: «أرجوك، لا تقولي هذا كريستي.. أريدك أن تكوني سعيدة».

ذلك السحر.. يا لقوته حين يستخدمه!... لقد جعل قلبها ينقلب في صدرها، وقالت وكأنها تصدر حكماً صعباً: «بإمكانك أن تكون لطيفاً حين تريد».

رد عليها: «أمور كثيرة فيك تعجبني، مثل هذا الشق الصغير في ذقنك، والشعر الطويل الجميل، واللون الأخضر الخفيف الصافي لعينيك. وبقيتك ليست سيئة».

ـ إذن، ما الذي لا يعجبك؟ ربما من الأفضل ألاّ ترد.. لا أريد تعريض هذا اليوم للخطر.

ـ لا تعجبني طريقة اختيارك لشخص مثل جوش ديكنز، لتقعي في حبه. كنت أظن أن لك ذوقاً أفضل. وليس ذوقاً فقط، ظننتك امرأة مسيطرة على نفسها أكثر.

قالت بلهجة محاربة: «حسن جداً، لقد أحرقت أصابعي.. في المرة القادمة التي أقيم فيها علاقة مع رجل، سأخطط لها جيداً».

ـ وماذا عن رجل لا تحبينه ولا يحبك؟ عندئذ لن يتأذى أحد.

ونظر إليها بالتواء مدمر لفمه.

ـ آسفة.. سأضطر لأن أكون صارمة معه.

هز رأسه: «طبعاً.. وإلا فستحتاجين إلى تفحص رأسك، لما لا تجلسين يوماً وتسجلين متطلباتك؟».

لو فعلت هذا فلن تحتوي اللائحة على كلمات تناسبه، مثل صعب المراس، خطير، ومثير، معقد، رجل يُبقي اللجام مشدوداً على مشاعره المتقلبة.

قال منشدقاً وكأنه يقرأ أفكارها: «عيب عليك كريستي».

وأدار رأسه يبتسم لها.

آش ماكينون.. ابتسامات كهذه يمكن أن تعلق فيها حتى امرأة متبوذة.

كان الولدان أول من استقبلهما، يطيران عبر الباب الأمامي، ويركضان

بسرعة جعلت كريستي تقلق من أن يقعا.

صاحا معاً: «عمي آش.. عمي آش!».

وعكس وجهاهما الكثير من السعادة مما أعطى كريستي فكرة أخرى عن هذا الرجل المعقد. يُظهر هذا أنه يحب الولدين، وهما يحبانه.. الفتاة الصغيرة وهي الأكبر، لم تجد صعوبة في الوصول إليه. لكن الصبي الصغير، كما خشيت كريستي تماماً، وقع، ولحسن الحظ فوق العشب الناعم.

وتطلع آش، الذي حمل جسم كايت الطائر بين ذراعيه، ليرى أن كريستي أسرعت إلى كيت الذي ارتمى على الأرض ووجهه إلى الأسفل، مفتوح الذراعين وكأنه يقبّل العشب.

انحنت كريستي فوقه، فأدار وجهاً محبوباً صغيراً إليها، بشعره الأسود القاتم المجعد، المغاير لعينيه الزرقاوين بلون الزفير المضيء.

ـ حبيبي الصغير.. كانت هذه وقعة قوية.

ـ أوه.. لا أمانع أن أطير.. لكن لدي كل هذا العشب في حلقي.

وجلس الصبي الصغير وسعل، بينما ربتت كريستي على ظهره.

قالت وهي تقف: «ما رأيك بكوب من الماء؟».

وبصق كيت بقايا العشب عن فمه: «لا.. لا بأس، أنا بخير، هل أنت كريستين؟».

مدت له يدها: «يناديني أصدقائي كريستي».

ولم تتوقع أن يصافحها، ربما سيمسك بها فقط. لكنه أكمل بسعادة: «لك اسم مثل اسمي، أهنئك».

ـ أنا واثقة من أن هذا يعني أننا سنصبح صديقين.

ـ أوه أجل.. أنت أجمل سيدة رأيتها يوماً، ما عدا ماما.. يمكنك أن تناديني كيت. ماما تناديني هكذا.

ـ إنه اسم عظيم!

ووقفت تشد الصغير معها، وتلاشت ابتسامة كيت: «أوه.. انظري ماذا فعلت! لقد تسببت ببقعة على تنورتك».

نظرت كريستي إلى الأسفل: «لا بأس، ستزول. في الواقع تكاد تختفي».

ونفضت كتلة صغيرة من العشب الأخضر المبلل علقت بتنورتها القطنية بلون الجاد الأخضر، التي كانت ترتديها مع قميص مناسب.

أكدت له كريستي: «أي شخص كان يمكن أن ينزلق».

احمرّ وجه الصبي سروراً، وقال بسعادة: «أجل! ولو أن كايتي لا تقع أبداً. لقد جئت مع العم آش، هل تحبينه؟».

ونظر إليها نظرة متفحصة مندهشة.

ماذا تقول؟ حتى الأمس كنت أظن أني أحب الرجل الذي تزوج واحدة من بنات خالك؟

أخيراً قالت بصوت منخفض متآمر: «أنت تعرف ما هو السر، أليس كذلك كيت؟».

ـ ما لا يخبرك الكبار عنه؟

هزت كريستي رأسها: «إلى أن يحين الوقت.. لكنني سأقول لك إنه يعجبني كثيراً».

ولم تكن تقصد هذا أبداً، فآش ماكينون ليس من النوع الذي يعجبها.

قال كيت موافقاً: «هذا جيد. فالعم آش لنا، تقول ماما إنه يعني بنا جميعاً، أتمنى لو كنا في بيتنا، لأمكنني أن أريك سمكتي الذهبية».

وأمسك يدها بشكل طبيعي، كأنه كان يمسكها طوال حياته.

ـ تعالي وقابلي كايت.. إنها هي التي تصفق. لا يعجبني أن تسبقني إلى العم آش. فهي دائماً تتقدم علي لأنها كبيرة جداً.

ـ كونك صبي، يعني أنك ستكون أطول منها عما قريب.

ونفخ كيت صدره: «لن أكون طويلاً مثل العم آش.. إنه أطول من أي بكثير. وأنا أحبه أكثر من أي من أقاربنا».

وسارت كريستي مع كيت نحو رفيقيهما الآخرين.

ونادى آش، وهو يرمي كايت الصارخة أرضاً:

- كيف حال صديقي الصغير؟

وركض كيت إليه ليرفعه إلى كتفه.

وضع الصغير يديه على وجه آش وأحنى رأسه الأسود ليتحدث في أذن عمه.

- لماذا لم تأت بكريستي من قبل؟ لم تقل لي كريستي إذا كانت تحبك أم لا، إنه سر.

- لا بأس في هذا كيت، فهي لم تقل لي كذلك. تعالي كايتي، نحن لم ننسك، استديري هنا.

ومد يده إلى الخلف يمسك بها.

- كريستي.. هذه ابنتي الصغيرة بالعرابة..

صححت كايتي له بحلاوة: «ابنته المفضلة».

وكانت الإبنة تشبه أخاها، وقال آش: «ابنتي بالعرابة المفضلة، كنت على وشك قول هذا، «كاترين ماكينون بويد»».

قالت كايت لكريستي: «كان هذا اسم أمي».

وتقدمت لتمسك يدها: «وهذا ما يجعلني مميزة».

- أستطيع أن أرى هذا. اسمي كريستين بروادنس باركر.

استدار آش يحدق إليها: «ماذا؟».

ردت نظرته: «ولمَ لا؟ لو كنت أعجبك حقاً لما مانعت».

ابتسمت كايت لها: «أنت تخادعين.. أليس كذلك؟ ليس الاسم بروادنس حقاً؟».

كشرت كريستي قليلاً: «في الواقع هذا اسمي. كان لي عمة كبيرة اسمها بروادنس. وكانت ستترك لي سريرها الرائع ذا الأربع قوائم، مع كل الزينة، لكنها لم تفعل».

سألتها كايت بأسى: «ومن حصل عليه؟».

- أراهن أن عليه الآن ما لا يقل عن أربعين قطة. فقد كانت العمة برو مولعة جداً بالقطط، وتركت منزلها وكل مالها لرفيقتها على أساس أن تعتني

بالقطط.

وقهقه آش، بينما انحنى الصغيران ضاحكين.

نادى صوت امرأة سمعت كل الضحك: «ماذا يجري؟».

قالت كايت متوسلة: «أوه ماما.. تعالي وقابلي كريستي.. إنها رائعة!».

وظهرت نيكول بشعرها الأسود وعينيها الزرقاوين، وعلى وجهها ابتسامة: «مرحباً كريستي. مرحباً آش.. أنا مسرورة جداً لقدومكما.. برندن في المنزل يحرق شيئاً في الفرن.. إنه يعتقد نفسه كبير الطهاة».

- إذا تحوّل السيء إلى الأسوأ، فيمكننا الذهاب إلى المطعم.

وضحك آش، وانحنى ليقبل خد ابنة عمته.

قالت نيكول: «كنت أمزح. كم تبدين جميلة كريستي..».

وقابلت كريستي النظرة المبتسمة.

- أستطيع الآن أن أرى من أين حصل الولدان على عيونهما الزرقاء الجميلة.

قالت نيكول بمحبة: «العينان لي. أما الباقي فكله برن.. أرجوك تعالي إلى الداخل».

وشبكت ذراعها بذراع كريستي: «كنت أعتقد أن آش يخبرني كل شيء.. لكنه لم يخبرني عنك».

ارتفع صوت كيت: «لأنه سر.. هذا هو السبب. وكريستي ليست مستعدة للبوح به».

وكان رد نيكول: «هو.. هو.. هو.. ستنتزع سرها منها».

في الواقع، لم يحصل هذا، مما زاد من مستوى الاهتمام.

وكان آش غامضاً جداً، جداً.

كان ذلك اليوم جميلاً بشكل مدهش، مليئاً بالهدوء والتناغم والشمس وأمواج البحر، مع ولدين طيبي الأخلاق مثيرين للبهجة، من المستحيل ألاّ يُعجب المرء بهما.. وحضر برندن غداءً عظيماً، وخدم الجميع بنفسه على

مائدة المطبخ. وحمل كل واحد منهم طبقه وخرج إلى الشرفة المسقوفة بمنظرها الرائع المطل على الشاطىء، والمحيط والساحل البعيد. كذلك قدمت سلطة طازجة من الخديقة مع أصابع من البارميزون الطري المفضل للولدين.

قالت كريستي لنيكول معلقة: «من الرائع رؤيتهما يتمتعان بالسلطة، لدي أصدقاء يتعذبون لأن أولادهم الصغار لا يأكلون الخضار».

كان برندن جذاباً جداً وفي الثانية والثلاثين. قال: «لقد بدأنا معهما في سن مبكرة. هذا هو الطعام الذي نأكله جميعاً، وكالمعجزة، تقبلاه».

ابتسمت كريستي: «يا لها من نعمة! إنهما ولدان جميلان.. مفخرة لكما».

قالت نيكول: «لقد فقدنا واحداً».

وتكسر صوتها، يفضح الواقع المرير الذي كان يتآكلها.

أمسكت كريستي يدها بشدة: «أعرف. آش أخبرني بالأمر، أنا آسفة جداً. حقاً أنا آسفة، لا أستطيع سوى أن أخمن مدى تحطم قلبك».

حاولت نيكول جاهدة أن تستعيد السيطرة على نفسها، ونظرت إلى زوجها الذي ابتسم لها بحب وتفهم.

ـ لكن.. لم يكن علي أن أذكر هذا.. أليس صحيحاً؟

قال آش بهدوء: «مسموح لك أن تذكري هذا لك. كلنا هنا نحبك».

أضافت كريستي بمحبة: «وهذا يشملني».

في ما بعد نزلوا جميعاً إلى الشاطىء حيث بذل آش وكريستي جهدهما في محاولة الخروج من المياه الضحلة حيث الولدين إذ استلزما اهتمامهما التام. وأخيراً جاء برندن لنجدتهما مادا يديه الاثنتين.

ـ آش وكريستي كانا طيبين معكما، والآن جاء دوركما لتسبحا.

وخلال نصف الساعة التي تلت استمتعا بالمياه الزرقاء الصافية. وتحركت كريستي معه، وهي السباحة القوية، إلى الخط الأمامي من الأمواج. تندفع إلى الأمواج المزبدة تركبها حتى الشاطىء. وكانت معتادة

على السباحة الطويلة، ولطالما بقيت في الماء لمدة أطول مما يبقى جوش.. في الواقع لم يكن بارعاً في السباحة مثلها، ولا تستطيع قول هذا عن آش ماكينون، مما جعلها تفكر كيف وأين تعلم السباحة هكذا في منزله الصحراوي.

عند العودة إلى الرمال الدافئة البيضاء سألت، فنظر إليها متسلياً: «يا إلهي، لدينا بحيرات».

والتقط منشفة وأعطاها لها.

ـ هناك سلسلة جميلة من السواقي الباردة التي تتقاطع في المزرعة. وفي الأيام الحارة جداً يتحول العديد منها إلى مجرد ساقية هزيلة، لكن بعضاً منها يبقى عميقاً على الدوام وبارداً. وأنا أفضل السباحة هناك من أي مكان في المحيط. ولدينا بركة سباحة كذلك.. لتلائم ضيوفنا.

ـ لمن لا يحب المغامرة؟

وجففت نفسها بخفة، وستتكفل الشمس بما تبقى.

ـ صحيح أن بعض الناس ترهبهم البرية وحجم المكان المتسع. بوجه عام، نحن نستقبل الكثير من الناس.

أدارت وجهاً متسائلاً نحوه، وقد أقلقها شيء في تعبير وجهه: «إذن، أنت حقاً بحاجة إلى زوجة.. إلى مضيفة؟».

ـ وهل تهتمين بمناقشة الأمر معي؟

ـ وما الفائدة؟ لقد قلت لك، أنا ضد الزواج كموضوع للنقاش. ومنذ زمن طويل.

ـ يا له من تحدٍ! هل تعرفين كم تبدين جميلة؟

مد يده ولامس خدها، كان شعرها دافئاً كثيفاً وذهبياً، ومبللاً، ومرفوعاً في أعلى رأسها.

إنه يعرف كيف يلمس امرأة.. فهل هي سنوات من الخبرة؟ أم مجرد لمسة؟ وتقلص ما بداخلها.. يا له من إحساس مثير. إنه أطول منها قامة، وأكثر سواداً في البشرة. بينما كانت بشرة جسمها بلون الذهب الفاتح أمام

سمرته الكاملة.

أربكتها أفكارها وجعلتها تضطرب، شدها وعانقها عناقاً طويلاً.

تمتم وهو يرفع رأسه: «هل تمانعين؟».

- يمكنك أن تشرح لي لما كل هذا؟

نظر آش بعفوية من فوق رأسها: «لك والولدان قادمون من مشوارهم، ويتوقعون رؤيتي أعانقك، يعتقدون أنك حبيبتي».

قالت كريستي بحدة: «نستطيع تصحيح هذا في دقيقة. نستطيع أن نقول لهم الحقيقة».

- هذا شيء لن نستطيع فعله.

وراح يفك شعرها ببطء ثم هزه لينفلت: «ليس الآن. دعينا نحافظ على هذا اليوم سعيداً قدر ما نستطيع».

هزت رأسها موافقة، ونظرت إلى القادمين الثلاثة عن بُعد: «نحاول نيكول بكل جهد أن تكون شجاعة. لكنها تتألم من الداخل».

هز كتفاً قوية، وانقلب تعبيره إلى القلق العميق: «إنها ليست بصحة جيدة كما أعتقد».

قالت كريستي بهدوء: «ساعتني على جراحي، لكنني أعتقد أن نك تحتاج إلى مزيد من الوقت لتحزن، وكذلك برندن. أستطيع أن أرى كم يحبان بعضهما، إنه يفعل كل ما في وسعه ليساعدها».

- إنه رجل طيب.

ودعك جسمه دعكاً سريعاً بالمنشفة، وأكمل: «ما كان يمكن لنك أن تتزوج رجلاً أفضل منه. وما يحتاجه كلاهما هو فرصة كاملة، وسأكلمهما. وسيحب الولدان أن يأتيا إلى المزرعة».

وكانت هذه مفاجأة كبيرة: «وهل تستطيع إقناعهما؟ كنت أظن أنك مشغول جداً ورجل ملتزم».

قال: «وهنا جاء دورك».

- أنا؟

واختبرت لحظة حادة قوية من الصدمة، ورفعت نظرها إليه بسرعة، وذهلت لرؤية أنه جاد.

- ربما لا تذكرين، لكنك قلت في السيارة منذ قليل إن لديك شهر إجازة؟

تلعثمت: «أنا بالتأكيد لا أنوي قضاء العطلة معك في معقلك الصحراوي.. أنا أبعد من أن أكون مستعدة لمثل هذه التجربة».

- سنبقيك بالتأكيد بعيداً عن حبيبك السابق.

ردت بحدة: «افترضت أنهما في شهر العسل».

- ثلاثة أسابيع ليست مدة طويلة، وأنا لا أثق بذلك الرجل.

قالت، وهي لا تزال تحتوي جرح الإذلال: «أنا أيضاً لا أثق فيه.. كرامتي جرحت. ألا تذكر أنني نبذت؟».

ثار إلى درجة جعلته يرمي رأسه الأسود إلى الوراء: «نبذتِ؟ وهو يائس ليحصل عليك كعشيقة له؟».

قالت بتجهم: «أنا مسرورة لأن الولدين ليسا معنا».

استقرت نظرته الساخرة على وجهها: «سوف تغفرين لي، كما أرجو؟ على فكرة، لماذا لم تصلا إلى الخطوبة؟ أم أنك وصلت وعاد إليك خاتمك؟».

تأوهت: «أوه يا إلهي.. لنحافظ على يومنا لطيفاً؟».

وحاولت رد زوبعة من الشعر عن وجهها.

قال لها: «أنا أقضي وقتاً رائعاً.. أنت رياضية تماماً.. أليس كذلك؟».

ردت صادقة: «لقد فزت بعدة جوائز في المدرسة».

- مع ميل للتفاخر.

وضحكت كريستي: «أنا لا أحاول التأثير عليك، أنا فقط أروي لك الوقائع.. وكان لي اهتمام بالثياب لفترة».

ارتفع حاجب أسود: «حقاً؟ هذا يبدو سمة مميزة كريستي».

- أنا فتاة مزرعة.

ـ وحجم المزرعة؟

ـ أوه.. ألف فدان.. مساحة بسيطة مقارنة بمساحاتك.

ابتسم: «أرى الذهب والخضرة، والتلال الممتدة، وحقول القمح، وأغنام الصوف».

ـ والضباب الجميل الشفاف في الصباح.. يبدو أنك كنت هناك.

ـ لقد كنت في كل مكان تقريباً من الريف.

وانضم إليها فوق الرمال: «ربما.. ربما..».

ونظر إلى المحيط البراق؛ سطحه ممتد ومليء بالألماس المتلألىء، وطيور النورس تسبح سعياً وراء الطعام، والمياه البيضاء المزبدة تغسل الرمال.

سألت كريستي: «ماذا؟».

وبالطبع كان يقصد أن يجيرها. وعرفت هذا.

ـ طرأت لي للتو فكرة. هل من الممكن أن تفكري بمساعدتي لو عرضت أخذ الولدين؟ وأعدك أن أفعل أي شيء لأجعلك تقيمين في «آغوستا» بإثارة ومتعة.

من تحت غطاء قبعتها القش الواسعة، احمر وجه كريستي. «آغوستا داونز» مزرعته.

ـ لا يمكن أن تكون جاداً؟

ـ أنا معتاد على أن أتكلم بجدية.

سألت وهي ترميه بنظرة جانبية: «لماذا تقترح هذا علي الآن؟».

ـ لأنني فكرت بهذا لتوي بالتأكيد. حسناً..

وهز كتفيه: «.. فكرت بأخذك إلى المزرعة، لكن هذا كان قبل أن أصل إلى تقدير كامل عن حالة تك».

ومائل تعبير كريستي عينيها المحمومتين: «ألا تعتقد أن هذا نوع من التهور؟ أولاً وقبل كل شيء، قد لا توافق تك على مثل هذا العرض، وعلى أي حال هم لا يعرفوني جيداً. وأنت لا تعرفني كذلك ولو أنك تبدو كمن ينظم لي حياتي».

قال: «أنا معتاد على تنظيم الأمور».

ـ أنت إنسان رهيب.

لانت عيناه السوداوان: «أنت لا تمزحين! ألا ترغبين في القيام بعمل جيد؟».

تنهدت بعمق: «أنا لا أفهمك آش ماكينون، بالأمس كنت غاضباً لرؤيتي».

ـ وهل أعطيتك حقاً هذا الانطباع؟

قالت تتلاعب بالزهور التي تزين قبعتها: «أجل، هذا صحيح».

النوى فمه سخرية: «لم أرغب في رؤيتك تستغفلين نفسك.. ومهما حصل بالأمس، أنت تفضلين اليوم».

تحدته: «وهل هناك جانب جيد لهذا؟».

قال محذراً: «آه.. إنهم قادمون».

وكأن القادمين من بعيد يمكن أن يسمعوا كل كلمة يقولانها.

ـ نحن عصفورا حب، تذكري! لديك دقيقة فقط لتعطيني ردك.

ـ أوه يا إلهي.. الرد لا.

ولوحت للقادمين، ولوحوا لها.

ـ لا أستطيع آش.

أحب الطريقة التي لفظت بها اسمه، وبقي الصوت عالقاً في ما بينهما وكأنه لفظة تحبب.

ـ قد يعني هذا كثيراً، فتك تأخذ الحياة بجدية كبيرة.

التقت نظرته بسرعة.. هذا الرجل منوّم مغناطيسي. وليس هذا فقط، إنه ناجح في محو جوش من ذاكرتها.

ـ قد أكون رهيبة مع الولدين، فكيف تعلم؟

ـ سيتوفر لك الكثير من المساعدة. لدي مدبرة منزل، وهناك عاملات يساعدنها.. وأنا لا أسعى إلى علاقة غرامية إذا كان هذا ما يقلقك.

ردت بحدة: «بل بعيدة جداً عن هذا».

ونظرت إلى أصابع قدميها.. علاقة غرامية! الفكرة بحد ذاتها جعلت نوراً أبيض باهراً يقفز في داخلها.

ـ لقد انتهى الوقت كريستي.

إنه يريدها، ويريدها بقوة أذهلته.. وهو ليس بالرجل الذي يضيع الوقت.

واستسلمت: «هذا ابتزاز، وأنت تعرف ذلك».

لمعت عيناه السوداوان: «أنت تفكرين بشخص آخر، وليس بي».

وركض الولدان إليهما بلهفة بابتسامتين مشرقتين وخدود جعلها الدفء والحيوية ورديّة.

جذب آش كايت إلى الرمال: «مرحباً يا حلوة! هل تمتعت بالمسيرة؟».

ولم يكن لكريستي سوى وقت قصير لتنظر إلى السماء الزرقاء الخالية من النجوم قبل أن يحط كيت على حجرها، وخصله السوداء تتجمع حول وجهه الملائكي.

وفكرت.. ماذا فعلت؟

ماذا فعلت؟

* * *

٤ ـ لا تحاولي فهمي..

بعد أسبوعين، وقفت كريستي وهي تمسك طفلاً في كل يد، أمام واجهة مساكن «أغوستا داونز» ترفع نظرها إلى الواجهة الرائعة، وتتعجب كيف نجح الرواد الأوائل في إنشاء «بيت» في هذه المساحات المعزولة في براري أوستراليا البعيدة بحرارتها وألوانها الملتهبة، ومواسم الجفاف المحبطة.. فمساكن «أغوستا» وحدائقها المشبعة بالماء تبدو صورة عن الريف الإنكليزي. من الجو، كانت «أغوستا» تبدو معرضاً لأعمال أسرة ماكينون. فهي تشبه بلدة صغيرة، تقع في صحراء يخترقها نهر وهي ذات تربة بلون الدم.. يكتنفان رملية حمراء ممتدة ومجموعات كبيرة من أشجار الصمغ وأشجار السنديان الصحراوية الميتة، التي يبيّضتها إلى ما يشبه العظام شمس تحدش البشرة. ولا يوجد ساكن بشري آخر حتى الأفق اللماع بالسراب القاتن.

في هذا المكان عاشت عائلة ماكينون المهاجرة وماتت. وهنا، أيضاً، طوروا مشاريعهم العظيمة دون توقف منذ تمكنوا من امتلاك الأرض في أواسط القرن التاسع عشر، وسموها «آغوستا داونز» على اسم عروسة أول مغامر مهاجر، جايمس أندرو ماكينون.

في سن الواحد والعشرين، وبمساعدة عائلته الثرية في اسكتلندة، تمكن من شراء أملاك كبيرة، بالإشتراك مع مجموعة مميزة من الرجال الذين غدوا الملوك الرواد لتربية المواشي. وكان طموح جايمس، هو توليد قطعان كبيرة من الماشية المخصصة لإنتاج اللحوم، وذلك بهدف تثبيت أقدام أسرته في

أرض الميعاد الجديدة. . حياته غير العادية كانت صعوبة لا تنقطع، وإنكاراً للذات ورؤيا لا تقهر، مما أكسبه الكثير وأكسب سلالته من بعده.

في النهاية، أقنع جايمس أخويه دونكن ووليام بالانضمام إليه. في البداية عمل الأخوة في أغوستا، ثم مع بدء جايمس بتوسيع ممتلكات العائلة إلى الشمال والغرب، تولى دونكان ووليام إدارة قواعد ماكينون الأمامية الجديدة. واليوم، تبلغ الممتلكات الإجمالية ضعفي مساحة تكساس، لكن عدد سكانها يبلغ واحد بالمئة من سكان تكساس. كما تغطي مساحة أكبر من مساحة اسكتلندة، الموطن الأصلي لأسرة ماكينون.

كانت كريستي تعرف أن أغوستا بقيت على الدوام مركز القيادة بالنسبة للعائلة، وجوهرة التاج حتى أيامنا هذه.

رفع كيت رأسه، يشد كريستي لتخرج من أفكارها: «هل يمكن أن ندخل، أرجوك كريستي؟ أريد أن أشرب».

ـ بالطبع حبيبي.

وانحنت نحوه بندم. لقد كان طيباً طوال مدة الطيران الطويلة وكان آش ينوي الطيران بهم بنفسه، لكن أمراً غير متوقع له علاقة بصعوبات التدريب حال دون ذلك.

واعتذرت كريستي: «أنا آسفة جداً كيت. كنت مشغولة بالإعجاب بالمنزل».

ابتسمت كايت بسعادة: «إنه جميل، أليس كذلك؟ إنه منزل سلالة أسرة ماكينون القديم. يقول عمي آش إنه ملك لنا جميعاً. لكنه ليس هكذا حقاً. . عمي آش هو المالك الحقيقي، لكننا عائلته».

قالت كريستي وكأن ما تقوله شيء اكتشفته لتوها: «إنه بالتأكيد يحبكم».

داخل المنزل المفروش بعظمة، لم تعرف كريستي أين توجه أنظارها. سارعت مديرة المنزل «لوني» إلى الحركة في جهد كامل للترحيب بهم وإراحتهم. وكانت حقائبهم قد وضعت في غرفهم على يد عامل شاب صغير

اسمه غاري، أوصلهم بالسيارة من مدرج الطائرة إلى المنزل، في رحلة استغرقت خمس عشرة دقيقة. كانت غرف نومهم في الجناح الغربي، وهي متلاصقة ما عدا غرفة كريستي، التي كانت منفصلة. وهي غرفة جميلة مبهجة، أنثوية فيها مقاعد ذات أغطية من الساتان الوردي اللون مع رفوف كتب، وسلسلة رسومات مائية مثيرة للاهتمام على الجدران، ومنضدة أمامية صغيرة ذات حوافٍ من النحاس الجميل، مع كرسي أثري. وكانت الغرفة تطل على منظر طبيعي رائع.

قالت لوني للصبي الصغير الذي كان يتثاءب: «والآن كيت الصغير، بإمكانك الحصول على غرفة نوم لك وحدك أو المشاركة مع كايت. فكما ترى، الآنسة. . .».

واستدارت لوني نحو كريستي.

ـ أوه، أرجوك، كريستي.

وأظهرت لوني سرورها، وتكور فمها بابتسامة: «كما ترين كريستي، لدى السيد آش سرير ثان، احتياطاً».

سأل كيت: «احتياطاً لماذا؟».

عبثت كريستي بشعره: «إذا ما أحسست بالوحشة. . يمكن للغرفة استيعاب سريرين».

وانحنت تضم كيت الذي أخذ يشم عنقها، واضح أنه اشتاق إلى أمه.

أطلقت كريستي يده فركض مع شقيقته للقيام بجولة على غرفتيهما.

وقال كيت لكريستي لدى عودتهما: «أريد أن أشارك بذلك. . آخر مرة كنت هنا، كنت صغيراً».

وضعت لوني يداً محبة على كتفه: «منذ سنة تقريباً يا صغيري. . ألا تذكر أن عشيرة ماكينون كلها جاءت من أجل عيد الميلاد؟».

رمت كايت نفسها على المقعد الطويل المنجد بتطريز إبرة جميل والموضوع عند قدمي سرير كريستي الكبير وهي تقول: «كان رائعاً!».

كان السرير كافياً لاستيعاب عائلة. وأكملت كايتي: «أقام عمي آش

شجرة ميلاد كبيرة، ذات زينة رائعة، بعضها قديم جداً وغالي الثمن، ووضع نجمة كبيرة في القمة.. وأطناناً من الهدايا للجميع تحت الشجرة. وكانت ماما تتوقع طفلنا الصغير يومها، لكنه مات».

تقدمت كريستي إلى الطفلة وجلست إلى جانبها: «جزء منا لا يموت كايتي؛ الجزء المهم، الروح.. وبينما نحن نتمتع بهذه العطلة الجميلة مع العم آش، تقضي شقيقتك الصغيرة، وقتاً طيباً في الجنة.. حيث لا مرض ولا تعاسة.. فالله لا يسمح بهما».

قالت كايت والتعاسة بادية عليها: «مع ذلك أتمنى لو كانت هنا».

ضمتها كريستي: «بالطبع تتمنين هذا، كي تحبيها حقاً. لكنها تنظر إليك الآن».

أسرت كايت لها: «هذا ما تقوله ماما.. ثم تبكي».

- إنها أسوأ تجربة حزينة في العالم أن تفقد أم طفلها، كايتي، أنت وكيت فرح ماما وبابا، وموآساتهما، إنهما يحبانكما.

قال كيت، وهو يبدو أكبر من سنواته: «لكننا سنتركهما يوماً حين نتزوج».

سخرت كايت منه: «لا تكن سخيفاً.. لن يتزوجك أحد، أنت صغير جداً».

رد كيت: «أعني حين أكبر».

قالت كريستي: «حين تكبر كيت، ستكون وسيماً جداً جداً».

وضمته إليها تتفحص وجهه: «أنت متعب. وأعتقد أنك يجب أن ترتاح بعد أن تقرر أي سرير ستأخذه. تعال، دعنا نلقي نظرة على الغرفة».

سألت كريستي بعد أن وصلوا غرفة نوم كايتي: «إذن، أيها سيكون لك؟ بما أن هذه غرفة كايتي، يجب أن يكون لها الخيار الأول».

نظرت كايتي إلى السريرين ثم الغرفة: «حسن جداً.. أريد هذا السرير».

وتقدمت إلى السرير الأقرب إلى الشرفة، والذي بدا أن الملكة فيكتوريا

كانت تنام فيه.

- أحب المفارش الصفراء. هل السرير الآخر جيد لك كيت؟

كشر كيت وجهه: «لا يمكن للصبيان أن يختاروا اللون الزهري».

قالت لوي بطريقتها السهلة المريحة: «نستطيع أن نبدل المفارش.. لدي مفارش زرقاء جميلة».

قال كيت: «على أي حال، أنا الأقرب إلى كريستي».

قالت كايتي لكريستي ساخرة: «حين يحلم بحلم سيء.. يبكي».

نظر كيت إلى الأسفل فوراً، ورموشه الطويلة تداعب خديه الناعمين.

وقالت كريستي: «لن يبكي بعد أن أضعه في الفراش.. ستمضي وقتاً ممتعاً خلال اليوم، وكلاكما ستغفوان ما إن تضعا رأسيكما على الوسادة، وستبقيان نائمين».

قال كيت واللهفة تطل من عينيه الزرقاوين: «هل ستسمعينني إذا بكيت كريستي؟ لا تقفلي الباب».

قالت كريستي: «لن أنام بعمق، ولن أقفل الباب كذلك».

كان إقناع نيكول بالموافقة على هذا الفراق عن ولديها قد تطلب جهداً كبيراً.. فمن ناحية، كان من الواضح أنها بحاجة يائسة إلى وقت راحة تقضيه مع زوجها. لكن، لأنها أم مخلصة، كانت قلقة لفكرة تركهما. ولم تكن قد فعلت هذا من قبل. إلا أنها وافقت في نهاية الأمر لأنها تنظر إلى آش بأرفع احترام، ولأنها أحبت كريستي واستطاعت الوثوق بها. وهذا ما وضع مسؤولية كبرى على كريستي، لكنه أظهر كذلك مهاراتها التنظيمية، ومشاعر الأمومة العميقة التي أصبحت تعرف أنها تملكها.

وضعت كريستي ذراعاً حول كتفي كل ولد منهما، وبامتنان، ذاب كلاهما عليها: «ستكون عطلة جميلة، هذه أول زيارة لي إلى هنا، وستريان كلاكما كل شيء».

وهكذا بدأت الأسابيع الثلاثة في «آفوستا»..

وبينما ذهب الولدان مع لوي لشرب الليموناضة، سعت كريستي لرؤية

غاري، الذي قال مقترحاً: «ربما نخرج في يوم ما لركوب الخيل معاً. فما رأيك؟».

ابتسمت دون رغبة لئلا تبدو غير ودية، مع أن عرضه كان جريئاً: «في هذه المرحلة غاري.. أقول، لا».

ابتسم لها: «لن أستسلم، فقد تغيرين رأيك».

تنهدت مبدية بعض المرح: «قد يكون هذا».

ـ بالطبع أنت ضيفة الرئيس.. ويجب علي طلب الإذن منه.

وعكس وجه كريستي عجبها: «حقاً؟».

هز غاري رأسه مؤكداً: «أجل.. لا تنظري إلي بعينين متسعتين هكذا. يمكن أن يكون الرئيس حاداً إذا خرج شيء عن خطه المرسوم، كل رجل في المزرعة يعرف أن عليه أن يكون حذراً مع السيدات».

ـ إذن، من الواضح أنك تخاطر؟

سأل بحزم: «ولمَ لا؟ فأنا لم أشاهد فتاة جميلة هكذا طوال حياتي».

ضاقت عينا كريستي أمام نور الشمس: «تصور! إذا لم أكن مخطئة، ها هو الرئيس الآن».

استقام غاري فوراً: «هذا صحيح.. من الأفضل أن أذهب».

وقفز عن الشرفة: «أراك فيما بعد كريستي».

بالرغم من جرأته، لم يضع الوقت في الابتعاد. ومد يده من نافذة السيارة ليحيي آش، لكنه لم يحصل على رد. وبقيت كريستي حيث هي، بينما أوقف آش سيارة الجيب المكشوفة عند أسفل السلم: «مرحباً».

وقال شارحاً: «اضطررت لترك العمال وشأنهم. كنت قلقاً، وأردت الإطمئنان عليكم أنت والطفلين بعد مشقة السفر؟».

قالت كريستي بابتهاج: «كان سفراً سارّاً لنا جميعاً».

وسرت لرؤيته قشعريرة مثيرة في جسمها لم تستطع السيطرة عليها. كان يقف بطوله الذي يبلغ ستة أقدام وثلاثة إنشات، بعجرفة ورشاقة رجولية.

ـ يجب أن تتعرفي علي حين تريني مرة أخرى.

وتحرك نحوها بابتسامة ساخرة وشد خصلة من شعرها الأشقر الطويل.

رفعت رأسها إلى الوراء لتنظر إليه: «هذا لأنك تبدو رائعاً جداً.. تعجبني ملابسك».

ـ كلنا نرتدي الزي ذاته هنا.

ـ البعض أفضل من الآخر.

خاصة غاري النحيل الجذاب، بشعره الذي أحرقته الشمس وعينيه البنيتين، فهو لم يكن يشبه آش ماكينون بأي شيء.

سألها آش، بقليل من البرود، وهو يفك منديله الأحمر: «ماذا كان يفعل غاري هنا؟».

نظرت كريستي إليه محاولة قراءة أفكاره: «لقد جاء بنا من المطار، ظننتك تعرف هذا».

ـ عمله كان إحضاركم إلى هنا، ثم إدخال الحقائب إلى المنزل، لا أن يجري حديثاً.

اشتعلت عيناها بالتحدي: «يا لها من ديموقراطية».

ـ أوه.. أنا ديموقراطي جداً.. لكن لا شيء يحدث في آغوستا خارج إرادتي.

ردت بجفاء: «أتمنى فقط أن أتذكر هذا».

حذرها آش: «إذا كان قد تجرأ وطلب منك الركوب معه، فهذا لن يحدث».

ردت بسخرية حلوة: «حسناً، ليس نهاية الأسبوع هذه. هل عدت إلى البيت لتناول الغداء؟».

نظر إليها بثبات وقال: «هم».

كانت ترتدي بلوزة مرتبة، أنثوية جداً، ومثيرة، وجينز أزرق برّاق يبرز جمال ساقيها، وكان شعرها الأشقر الذهبي مسترسلاً بكثافة حول وجهها وعلى كتفيها. أما عيناها الخضراوان، وبشرتها العاجية، فكانت ندية كالربيع.

وتلاشى توتره حالاً: «لا أستطيع القول إنني ألومه لجنونه المؤقت. لقد جئت بنفسي لأتأكد من أنك جميلة كما رأيتك آخر مرة، أم أنك تغيرت بفعل الحرارة؟».

مررت كريستي يدها على مؤخرة عنقها: «أي حرارة؟ هل ندخل إلى الداخل؟».

إنه يجعلها تشعر أنها امرأة...

وأكملت: «سيبتهج الولدان لأنك هنا».

رمى يداً على كتفها يؤخرها: «وماذا عنك؟».

- لا زلت أفكر كيف وافقت على المجيء إلى هنا، ومع شخص غريب. أنا لست متهورة في العادة.

قال ساخراً: «هيا الآن.. لقد فعلت هذا من أجل نك وبراندن».

- أجل.. لديك أروع مملكة خاصة.. ولا أستطيع الانتظار لأستكشفها.

بقي يتفحصها بتكاسل وهو يرد: «أنا مسرور لأنها أعجبتك».

- طالما لست مضطرة للإنحناء احتراماً كلما تقدمت مني.

أكد لها: «ما من أحد هنا يفعل هذا.. لكن إذا أحسست يوماً بالميل..!».

لم تضع لولي الوقت في وضع الغداء على الطاولة؛ طبق دجاج، فطيرة مع النقانق والأعشاب المطيبة وزلابية معطرة أغرت الولدين، قدمت مع السلطة.

ووافق الولدان دون تذمر بعد أن تملكهما النعاس، على قيلولة لبعد الظهر، بينما جال آش بكريستي في المنزل. ولاحظت كريستي أن الطراز فيه متنوع. فهناك الأثاث الإنكليزي والفرنسي والشرقي. كانت الغرف، بما فيها غرف الضيوف، مليئة بأشكال فنية وأثرية جمعتها العائلة على مرّ الأجيال. وبدا لعيني كريستي المذهولتين، كمغارة «علي بابا».

وجذبت كل شيء مثيراً للاهتمام بينما كان آش يشرح لها. هذا الرجل

عاش طوال حياته في منزل ضخم، دون أن يتسم، هو أو المنزل، بالمبالغة. ومهما يكن حجم المنزل كبيراً، وهما لم يجوباه كله، فقد كان يشبه «البيت العائلي» حيث عاشت العائلة الواحدة، وأحبت، وماتت. وقد ترك كل جيل علامته التي ظهرت بوضوح في أنواع المجموعات القديمة.

قال آش: «لقد ترك جدي هذه المجموعة الخاصة لي».

كانا في غرفة المكتبة المصنوعة من خشب شجر الأرز الجميل، والمزينة بمجموعة من اللوحات التي تمثل فرساناً على جيادهم.. حيث توجد خزانة عرض زجاجية مليئة بتماثيل للجياد جُمعت عبر السنوات.

أشار آش إلى رف حيث وضعت عدة تماثيل لجياد خزفية ملونة: «هذه سلالة «تانغ»».

- أحببت التمثال الذي عليه فارس.

تقدم ليلتقط التمثال الصغير الجميل: «هاك.. ألقي نظرة عن كثب».

- أوه.. أخشى أن يحدث له سوء.

قال لها آش: «لن يحدث شيء.. أنت تحبين الجياد؟».

- أحبها.

وأخذت تمثال الخزف بحذر، معجبة بدقة الحفر، وقالت معلقة:

- لا شك أنك فخور بمنزلك وإرثك.

والتقى نظرتها.

- حسن جداً، هذه قصة براري أوستراليا. تاريخ وتطور صناعة تربية الماشية إضافة إلى التاريخ الاجتماعي الثري. فإذا كنت مهتمة، لدينا الكثير من المواد المؤرشفة في مكتبة العائلة، سنذهب إلى هناك الآن.. فهناك وثائق شخصية لحياة العائلة وحياة الجيران، ولو أنهم على بُعد مئات الأميال عنا.. عمتي زو، كانت تحمل درجة دكتوراه في الفلسفة.. ونشرت ثلاثة كتب لها علاقة بالإرث الزراعي، وهي تعمل على كتاب آخر الآن. وستحبينها، فهي ذكية جداً وامرأة مثيرة للاهتمام.

وسمعت كلماته غير مصدقة: «وهل سألتقي بها؟».

ـ بالطبع . . في وقت ما .

وهزتها، حتى أطراف أصابعها، كثافة تعابير وجهه: «لا تخافي . . لن أسجنك».

ـ هذا جيد . . لأنني أعرف أنك قادر على هذا لو أردت .

قال بلطف مدهش: «تعالي كريستي . أنا أعرف أنك متلهفة لتكوني صديقتي».

أدارت نظرتها: «كلامك هذا غير مريح أبداً».

رد ساخراً: «غير مريح . . أعرف الآن موقعي».

استدارت متحدية: «تعرف ماذا أعني . لقد كدت تسجنني لقاء فدية».

وكان من الصعب قراءة عينيه السوداوين العميقتين: «وكيف هذا؟».

ـ ما زلت لا أصدق أنك تثق بي .

ـ أنا لم أثق بامرأة منذ سنوات طويلة .

واهتز صوته بسخرية فيها لمسة مرارة: «وتأكيداً لوجهة نظري، فأنت منذ أسابيع قليلة، كنت على وشك إفساد زفاف ابنة عمي».

وتمكنت كريستي من السيطرة على نفسها بصعوبة: «هذا غير صحيح».

ـ تواجدت حيث لم يكن من المفروض أن تتواجدي .

ـ لم أفعل شيئاً غير قانوني .

ـ لم يكن تصرفك مقبولاً اجتماعياً كريستي . ففي حفل الاستقبال ذاته، كان زوج ابنة عمي الجديد يستخدم كل قواه ليجرك إلى ما بين ذراعيه. وأذكر تلك اللحظة بوضوح كأنها حدثت هذا الصباح .

صدمت كريستي وأحست باندفاع مفاجىء لأن تضربه: «إذن، أتمنى لو أنك لاحظت أنني كنت أصده».

رد بحدة: «يا للغرابة . . لم ألاحظ هذا. كنت مشغولاً جداً بمراقبة ديكنز عن قرب».

وأحست بالتضارب في مشاعرها نحو بعضهما البعض. تجاذب قوي، وشيء من العدوانية .

ـ أنا آسفة على كل شيء، لا بد أنني فقدت عقلي لوقت قصير .

ـ قد يبرر هذا رغبتك في إفساد حفل الزفاف .

ـ ما أردته هو أن أرعب جوش . . كنت أظنه يحبني .

واحتقرت الشعور الذي أحست به والذي بدا في صوتها: «ما زلت لا أستطيع تصديق الطريقة التي تصرف بها».

ـ إذن شعورك نحوه لم يتبخر بعد .

وبدا تفسيره بعيداً لكن مباشراً في الوقت ذاته .

رفعت رأسها تنظر إليه بمشاعر متشابكة متضاربة: «لماذا لا تحاول أن تفهم . . ماذا لو فعل شخص بك الشيء ذاته؟ رد على هذا، آش ماكينون».

واشتعلت نار خفيفة في عيني كريستي وهي تكمل: «أراهن أن طبعك شرس».

ـ لكني أبقيه تحت السيطرة . . وأنا الآن أجد صعوبة في هذا .

أمسك كتفيها، ومر بينهما تيار صعب وخطير . عانقها بحرارة وشوق مستعيداً ذكرى عناقهما الأخير .

ومع أن عناقه لم يدم سوى ثانية واحدة، إلاّ أنه جعلها ترتجف . لم تكن قد واجهت من قبل مثل هذه القوة المثيرة . .

وجعلتها مشاعرها القوية غاضبة: «لماذا نفعل هذا بأنفسنا؟».

قال بطريقة باردة وهو يمرر إصبعاً على خدها .

ـ أنا رجل . . ولي احتياجاتي .

ـ الحقيقة أنك تسخر مني، ويعجبك هذا .

تفرس فيها عن كثب: «إذا كنت أسخر منك كريستي، فأنا أسخر من نفسي».

قالت كريستي بخشونة: «لا يمكنك الاستمرار في ذلك . . فأنا هنا لأعتني بالولدين».

ـ وأنت كذلك في عطلة . أريدك أن تستمتعي أيضاً . أنت هنا لقضاء الوقت مع الولدين، بكل تأكيد . ولقضاء بعض الوقت معي أيضاً .

قالت بصوت خشن وقد ازداد السواد في عينيها: «آه.. ملك تربية المواشي المتسلط، هل يمكن أن تشرح لي فأنا لا أفهمك؟».

أراد آش أن يطمئنها فاستخدم سحره القاتل: «ليس كشريكة في الفراش. إلا إذا كان هذا يهمك».

قالت بحدة: «لا زلت حزينة على غبائي».

- إذن، لن يطول بك الأمر. لا أستطيع أن أصدق أن رجلاً مثل جوش ديكنز يترك أي علامة لا يمكن محوها في نفسك، فأنت لم تحبي أحداً أبداً.

- ماذا عن أمي وأبي؟

- أعني أي رجل. أعرف أنك تحبين أمك وأباك، لكنك فتاة كبيرة الآن، وأنا أتكلم عن الرجال، عن الحب الملتهب.. الكثير من الناس يؤمنون أن الحب الرومانسي مجرد أسطورة، لا يستمر سوى لفترة قصيرة قبل أن يتبخر. لقد قرأت كتاباً عن الموضوع لكني نسيت اسم المؤلف.

تكلمت كريستي بصوت خفيض ملفت للنظر: «أنا لا أتقبل هذا الجدال.. فأزهار الرومانسية لم تذبل عند والديّ».

- إذن فهما محظوظان جداً، وأنا واثق أنهما يجهدان لبقاء حبهما حياً؟

واستسلمت كريستي لتأملاته: «أجل، هذا ما يفعلانه.. إنهما يرعيان بعضهما بعضاً. أعتقد أنك تبالغ قليلاً في شعورك بالمرارة نحو الحياة».

- لماذا إذن أحترق بعينيك الخضراوين الجميلتين؟

قالت بحدة: «لأنك تهوى اللعب بالنار».

هز رأسه: «يمكن للرجل أن يقع في الفخ بهذه الطريقة. وأنا أمر في فترة أفكر فيها باستراتيجية عمل جيدة لزواجي».

وركز عينيه عليها، فارتجفت.

- لا تنظر إلي.. ما زلت أؤمن بالحب.

- كثيرون ممن وقعوا في الحب وتزوّجوا، انتهى بهم الأمر إلى فرار بائس. الوقوع في الحب ليس كالحب الحقيقي كريستي، هذا سوء فهم، كما حصل معك تماماً. لا بد من وجود طريقة مناسبة لجعل الحب يحدث..

- لا أستطيع الزواج من دون حب.

- أتعنين الشعور بالرغبة؟ أو ربما أكثر أناقة من هذا بقليل.

- لكنه أكثر أناقة بكثير مما تصفه.

وتسبب لها هذا باضطراب رهيب.

- خطط، زهور، كنيسة، حفل استقبال. مناسبة رزينة ومهمة، والنساء يستمتعن بها مثل يوم زفافهن وكأنما ستستمر بقية حياتهن.. ويمر الرجل بكل هذا.

واشتعل غضب نادر فيها: «وهل تشملني في هذا».

- حسناً... ربما. على أي حال، لماذا أنت غاضبة؟ لقد كان عناقنا رومنسياً، وبكل تأكيد فيه تجاذب. إنها الطريقة التي تتلاعب فيها مشاعرنا بنا لخداعنا.

أخذت نفساً عميقاً، وقالت: «أنت ترعبني آش ماكينون».

رد بتوازن مثير، بين الرقة والسخرية: «هذا ما أقصده كريستي.. لا، أنا أمازحك. عملي هو حياتي. قد أكون الأرفع مقاماً لكن الكثير من أموال أسرة ماكينون موضوع بين يدي».

رفعت حاجبيها: «إذن هناك أمر واحد مثبتٍ حقاً. يجب أن يكون لك زوجة».

تكور فمه الوسيم: «زوجة وأم. شخص ما حقيقي جداً، شابة جميلة بشكل معقول. ذكية، دافئة، تستحق الثقة، مسؤولة..».

- يبدو أنك تضع كل شيء بالترتيب، هل هناك صفات أخرى؟

نظر إلى وجهها: «لم أنته بعد.. قوية.. لها حقوقها الخاصة.. امرأة تستطيع بسهولة أن تكون مديرة، وتجلس على قمة مشاريع ماكينون.. وسيكون إضافة عظيمة لو كانت رائعة في الفراش».

وأخفض يده اليمنى إلى فكها وأمسكه بأصابعه الطويلة: «دعينا نكمل جولة الاستكشاف».

- للمنزل؟

ـ بالطبع للمنزل.

كانت المكتبة جميلة فعلاً مع سلسلة من خزائن الكتب موضوعة في فجوات تعلوها قناطر. وكان هناك عدد غير عادي من الكتب الكبيرة من كل الأحجام. وفي أنحاء الغرفة مقاعد عميقة مع طاولات صغيرة من السهل تحريكها، وفي وسط الغرفة ثمة طاولة مكتب من طراز ريجنسي عليها وعاء زهور مليء بالورود الزهرية والعاجية. أما الأرضية فمغطاة بسجادة عجمية جميلة، بلون الياقوت الأحمر، تغطي معظم الأرض الخشبية اللماعة، وقد كتمت وقع أقدامهما وهما يدخلان.

وعلى الفور، سُحرت كريستي التي تحب الكتب، فهذا المكان مثالي للهدوء والتأمل، إذ فيه وقار وجمال حقبة أخرى من الزمن. ومن الواضح تماماً أن رجال ونساء أسرة ماكينون، كانوا مثقفين وأذكياء بشكل مميز.

نفرس آش بوجهها المستغرق في التفكير وهي تتقدم لتدور في الغرفة محدّقة في خزائن الكتب وما تحتويها.

سألت كريستي دون أن تدير رأسها الأشقر: «بكل تأكيد هذه أفضل مكتبة خاصة في البلاد. القليل من الناس يمكنهم اقتناء مثل هذه المكتبة الكبيرة والشاملة، عدا امتلاك كل هذه الكتب».

قال: «في الواقع، هذا صحيح.. فمع غياب أشكال النسلية، لا عجب أن سكان الريف أو داخل البلاد هم من القراء الكبار، وأصحاب مجموعات. جدي الأكبر، كان ذا ميل للاستكشاف والريادة، ومعرفة التاريخ الطبيعي والأمور المشابهة».

تنفست بقوة: «مدهش.. لقد درست الصحافة في الجامعة، وأنا أحب الكتب».

ابتسم: «أستطيع رؤية هذا.. يمكنك أن تتصفحي أي كتاب في أي وقت تشائين».

استدارت لتسأل ووجهها مليء بالاهتمام: «هل أستطيع أن آخذ مجلداً إلى غرفتي؟».

ـ بكل تأكيد، فأنا أعرف أنك ستهتمين به.

نظرت إلى رسم ضابط وسيم في بذلة عسكرية ربما يعود إلى أوائل القرن التاسع عشر.

ـ ومن هو هذا السيد المهذب؟

قال آش: «أحد الأسلاف قتل في معركة واترلو».

ـ أمر مؤسف. يبدو يافعاً جداً.

رد بشيء من الحزن: «هناك شبان آخرون من أسرة ماكينون قتلوا صغاراً. وهناك المزيد من اللوحات في الغرفة التالية. إنها غرفة للتذكارات الآن، فيها لوحات فنية وتحف متنوعة. جاء بها أفراد من العائلة خلال رحلاتهم إلى الخارج».

وسمح لها أن تتقدمه إلى الغرفة.

ـ بعض هذه التذكارات غريب جداً، فقد كان أحد الأعمام مهووساً بكل ما هو مصري. وآخر بكل ما هو شرقي.. وآخر كان يحب الهند.. مهلك لحظة، سأضيء الأنوار فقد أقفلت لوقي الستائر.

فوق المدفأة المنحوتة من الرخام الأسود، كان هناك لوحة لرجل وسيم جداً، في أواسط العمر، لا يمكن أن يكون سوى والد آش ماكينون. فالشبه بينهما قوي، وما يميز الأب عن الابن كان لون العينين، فعينا آش ماكينون قاتمتان لامعتان إلى درجة السواد.. بينما كانت عينا الوالد، اللتان تبدوان وكأنهما تلاحقانها في الغرفة، زرقاوين مميزتين.. إذن من أين جاءت العينان القاتمتان؟ من والدة آش؟ تلك الأم التي لا يتكلم عنها أبداً؟

قالت كريستي: «يا له من رجل وسيم ومميز».

ولاحظت كريستي، بالرغم من وسامة الرجل في اللوحة، أنه يفتقر إلى روعة ابنه.. ولم تستطع سوى التفكير بكلمة واحدة.. السحر العنيف.

قالت بصوت يرتجف: «لا بد أن يوم مقتل والدك وعمك كان يوماً حزيناً».

ـ كان أسوأ يوم في حياتي.

سألت بلطف: «أسوأ من يوم تركتك أمك؟».

- كنت صغيراً يوم تركتني.. وأحسست إحساس ولد صغير. لكنني كنت رجلاً تاضجاً حين اضطررت لأن أتقبل موت أبي وعمي، فهما لم يكونا أخوين فقط، بل مقربين كثيراً من بعضهما، وشريكين في العائلة والعمل. ولهذا أنا أرعى مرسيدس وكاليستا.

- ستغضب إن سألتك من أين لك العينين السوداوين؟

- تريدين معرفة كل شيء. كانت أمي جميلة مذهلة.. مثلك أنت. لون بشرتها ساحر، شعرها أشقر وعيناها سوداوان، مزيج لا يراه المرء دائماً. كان فيها دم إيطالي، ويقال إن عينيّ تشبهان عينيها، لكن بلون أعمق..؟

أحست أن عليها أن تسأل: «أولم يكن هناك لوحة لأمك؟».

هز كتفاً قوية: «لم أتمكن من إيجادها».

- حسن جداً، إنها موجودة إذن.

- أرجو ألاّ تقترحي التفتيش عنها.

تفحصت كريستي وجهه، وقالت: «أنت بحاجة للكلام عنها آش».

- لا تكوني سخيفة. أمي خرجت من حياتي منذ أكثر من عشرين سنة، والأمر بهذه البساطة.

- ما كان اسمها؟

- أنت كثيرة التساؤل إلى حد التطرف.

ردت بهدوء: «وأنت إلى حدّ العدوانية، أستطيع رؤية هذا في عينيك. أردت فقط أن أعرف القليل عن حياتك، وهذا كل ما في الأمر. فحياتك مختلفة عن حياتي بشكل مذهل.. انتماؤك هو هنا، في عالم لا يصدق. فأنت تقطن في قصر والصحراء المتوحشة على عتبة دارك، وهذه حياة غريبة ورومانسية.. إنها حقاً هكذا!!».

- أنت قادمة من الخارج كريستي.. العمل هنا صعب.

- لكنك تحبه.. أليس كذلك؟

رد ببساطة: «إنه حياتي».

قالت: «لاحظت وجود صور كثيرة على جدار غرفة الجلوس، وأنا أتشوق لألقي نظرة عليها، كي أرى طريقة نموك. لا بد من وجود صورة لك مع والديك؟».

وكانت ضحكته قصيرة: «آسف كريستي.. ستفتشين دون طائل.. وإذا كنت تظنين أنني أرغب في العودة إلى حياة أمي مجدداً، فأنت مخطئة في هذا».

- أمر مؤسف.

- لقد كان مؤسفاً. لكنه حدث منذ سنوات طويلة.

- إذن، لقد رحلت هكذا؟

وفكرت كريستي كيف كانت مشاعر الأب والابن.

- حسن جداً.. كريستي، هل تمانعين لو تجاوزنا هذا؟ ما من أحد ذكر أمي منذ زمن طويل.. وأحب أن يبقى الأمر هكذا.

اعتذرت: «أنا آسفة. لا أقصد أن أكون فضولية، لكني مهتمة حقاً».

ونظرت حولها: «أتعرف أن هذا المكان رائع لتأليف كتاب».

- طالما لا تجعليني إحدى الشخصيات الرئيسية.

- لطالما أردت أن أكتب.

- ولماذا لا تكتبين إذن؟

- كنت مشغولة جداً في كسب معيشتي. فأنا لم أولد وملعقة من الذهب في فمي، وأنا بحاجة إلى مرتبي لأعيش.

- لكن لديك الإرادة للمتابعة؟

- هذا صحيح.

- ولا تبحثين عن مرشح ثري تتزوجينه؟

ردت بغضب: «أتعني مثل جوش؟».

رد باقتضاب: «سيصاب جوش بصدمة كبيرة لو ظنّ أن كاليستا ستفتح له يدها بالمال، فهي حذرة جداً في هذه الأمور وذات تفكير عملي. كما أني أدير معظم أملاك مرسيدس وكاليستا، والتي تشمل أملاك الرعي في سلسلة

ماكينون؟».

هزت كتفيها: «لا أستطيع تصور كل ذلك المال.. قرأت مرة أن وريثاً أوسترالياً قال إن امتلاك الكثير من المال يضغط على الأعصاب تماماً كالافتقار إليه».

ضحك، وركز عينيه السوداوين عليها: «هذا لا يفيد العابثين، أو العابثات.. أما بالنسبة لي، فأنا مشغول جداً».

قالت: «ربما أنت محروم من السعادة، وهذا ليس عادلاً بالنسبة لك. ربما لهذا السبب تفكر باستراتيجية للزواج.. هكذا هو الأمر! لقد خطر ببالي للتو، أن لا وقت أو مكان للحب في حياتك».

وقاطعها قائلاً: «لكن، هل يمكن لحب امرأة أن ينقذني؟».

ـ يمكن أن تأمل هذا. لا تعجبني نظرة التعالي التي ترمقني بها، وأعرف أنها على طرفي نقيض.

قال معترفاً: «يا للجحيم.. أجل، لكن لم يكن الأمر كله سيئاً.. كيف تعرفين أنني لم أرغب فيك منذ أول لحظة وقعت عيناي عليك؟ كيف تعرفين، أنك لست المرأة التي جعلتني أفكر بعقد الزواج؟».

وكان عليها أن تهدىء نفسها: «لست يائسة إلى درجة عقد زواج من دون حب. سيكون الأمر كالذهاب إلى السجن. أنت رجل معقد كثيراً يا آش، وكئيب جداً».

ـ لكنني أجعل يديك ترتجفان.

ووجدت نفسها ترفعهما: «أنت تجفلني».

ـ هذه معلومات جيدة.

وأمسك يديها ينظر إلى الأصابع الخالية من أيّ خاتم، وقال معلقاً: «يد جميلة جداً، يجب أن تضعي فيها زمردة كولومبية لا شائبة فيها، يحيط بها الألماس. ويمكنك إرجاع شعرك إلى الوراء وارتداء قرط مماثل، وربط شعرك في عقدة «شينيون».. ألا تسمونه هكذا؟».

ـ عمّ تتكلم آش؟

شيء ما فيه كان يوحي بالخطر.

رد بحدة: «لست واثقاً عمّا أتكلم، هل تريدين أن أقرأ لك كفّك؟».

واندفعت الإثارة مثل التافورة، إثارة يصعب احتمالها، ويصعب تفسيرها.. ففي داخل آش ماكينون حب ملتهب كبير، وتعرف هذا. لكن، لعلها ليست القدرة على الحب.. بل محبة أساسها حزن من الماضي.

قالت له: «أنا ككتاب مفتوح».

وجعل التيار الذي يسري بينهما كلامها يتكسر.

عارضها: «لا.. أنت لست كذلك.. أنت ساحرة جداً».

ـ أعد إليّ يدي.

هذا الرجل خطير جداً.

نظر إليها ورأى أنها مضطربة: «بالطبع.. أحياناً أنت باردة جداً، وفي أوقات أخرى تبدين ضعيفة، ولعل السبب أنك تستعيدين عافيتك بعد قصة حب فاشلة، وما إلى ذلك. لكن إليك هذا التحذير الصغير كريستي.. لا تحاولي فهمي.. فأنا لا أفهم نفسي».

* * *

٥ ـ قفزة في المجهول!

طلع الفجر على الأرض الخالدة، غامراً بنوره الصحراء الملتهبة التي هي أقدم جزء من الأرض.

وتعالت أصوات الطيور مرحبة بالشمس، بقوتها وإشراقها البادين في الأفق، وكأنها تفصح لها عما في قلوبها.

كانت أحلام كريستي تدور في دوائر. وكان آش حاضراً في كل واحد منها ولم يعد ذلك يثير استغرابها. كانت تستيقظ عند الصباح على أصوات الضاحية الهادئة، وها هي الآن تستيقظ على أصوات الكركابورا الموسيقية المجلجلة التي تشكل واحدة من ذكريات طفولتها الحميمة. إنه صوت رائع مختلف تماماً عما اعتادت عليه. وللحظة لم تعد واثقة أين هي، فكأنها وسط قصة خيالية. فهي لم تنم من قبل في سرير ضخم بأربع قوائم، وما امتلكت يوماً مثل هذه المفارش المنقشة الصنع..

رمت كريستي عنها الغطاء الرقيق وسارت إلى الشرفة. كانت روائح الزهور حولها، تغمرها بالانتعاش وتشعرها بنشوة قريبة غامرة.. بدت الروائح العطرية مكثفة حتى أنها لم تستطع تحديد مصدرها. وتطلعت من فوق أشجار الصمغ العظيمة التي تمد أذرعتها الطويلة فوق أزهار الزنبق، وأحست أنها تطوف بسعادة.

هذه هي الصحراء، القلب المتوحش. ومع ذلك، فالأشجار والخضرة تملأ المكان بشكل غريب. إنها ليست صحراء أبداً، بل مكان عجيب.. ملأت كريستي رئتيها بالهواء المنعش فبدا لها كأنه إكسير عجائبي يمكن أن

يوفر الحياة الخالدة، فهي تعشق الطبيعة. وضعت يدها على صدرها وأغمضت عينيها، وراحت تختبر شعوراً يقارب من النشوة. وتدفق الدم هادراً عبر عروقها.. وارتفعت روحها فوق أجنحة، حتى السماء..

كانت الشمس ترتفع في الأفق بسرعة، في قوس ذهبي متوهج.. واستطاعت كريستي أن تشعر بإشراقها وحرارتها عبر جفنيها المغمضين.

ـ ابقي كما أنت.. أحتاج حقاً إلى آلة تصوير.

وأيقظها صوت رجل، جعلها تفتح عينيها، وترفعهما بسرعة.

سألها آش: «هل هذا نوع من العبادة في الفجر؟».

مالت فوق الحافة: «آش؟».

بالطبع هو آش. ما من أحد غيره يملك رنة الصوت المغرية هذه.

تراجع رأسه الأسود إلى الوراء ليراها بشكل أفضل.

ـ أتعنين أنك كنت تتوقعين شخصاً آخر؟ رابنزيل.. رابنزيل، دعي شعرك يتدلى إلى الأسفل. إنه شلال جميل!

وتصاعد تذمر صارخ داخلها: «وهل تنوي أن تتسلقه؟».

ولمَ لا يفعل؟ إنه جريء إلى هذا الحد.

قال ساخراً: «أتريدين رؤيتي؟».

ضحكت، غير واثقة من جديته: «أنت تمزح بالطبع؟».

ـ لا.. يبدو أنّ خولي يتراجع وأنا معك.

سار من حيث كان يقف على العشب تحتها مباشرة إلى مكان أقرب حيث ترتفع عريشة لماعة مليئة بالأوراق لتغطي الجدار الحجري.

هل ينوي فعلاً التسلق؟ تذكرت ما عرفته عنه، فكان الرد نعم. هربت كريستي إلى غرفتها وارتدت عباءة من الساتان الزهري، وربطتها بسرعة للعودة إلى الشرفة وهي تشعر بالبهجة والفضول المتوتر.

ـ أعتقد أنني أستحق شيئاً من أجل هذا.

وبدا وسيماً جداً ونشيطاً وهو يطوّح بساق طويلة فوق الحافة.

ـ هذه عباءة فاخرة كريستي.

وتقدّم نحوها بلباس رعاة البقر، وعيناه البراقتان تطوفان عليها.

ـ أنا مسرورة لأنها أعجبتك.

جاهدت لكي تبقى هادئة أمام هذا الرجل المثير للاضطراب..

قال متشدداً: «إنها رائعة، وأنت كذلك.. ولا يمكن لكل امرأة أن تبدو كمخلوق سماوي في الصباح الباكر».

وانزلقت نظرته بإعجاب متكاسل على شعرها الأشقر الطويل، ولون عينيها الأخضر.

وسرت فيها شرارات كهربائية: «لم أكن أتوقع صحبة أحد. لكن الحياة مليئة بالمفاجآت».

ـ وهل ينتهي هذا أبداً! لعل قمة الإثارة في يومي أن أراك في ثوب نوم من الساتان الزهري على الشرفة، تناجين الشمس الطالعة.

ـ إنها الطيور.. لقد أيقظتني.

بينما كانت تتكلم، قفز سرب من الببغاوات الأوسترالية، ذات الصدر الكبريتي اللون من داخل أشجار الصمغ الحمراء.

قال آش: «هذه البراري شهيرة بطيورها وسيمفونياتها الصباحية الباكرة. وأنا أفهم ابتهاجك.. فهذا يؤثر عليّ بالطريقة ذاتها. وعدا عن هذا، توقعت أن تجديني قبل أن أغادر إلى العمل».

ورأت فجأة أن ما قاله صحيح، لكنها أنكرت: «لم أخطط لشيء.. لم أفكر فيك ولا لدقيقة واحدة».

ـ إذن، أنت تجبريني على القيام بتمثيلية لجذب انتباهك.

ونظر إليها: «صباح الخير كريستين».

وأعطى اسمها رنيناً كاملاً.

ـ أرجو أن تكوني قد نمت جيداً؟

توسلت إليه: «مثل طفل صغير.. لا تفعل هذا آش».

ـ لكنني أريد معانقتك.. مجرد عناق.. لا شيء غيره.

احمر وجهها وازداد خفقان قلبها وهو يضع يده تحت ذقنها:

ـ أنت جميلة جداً، شعرك لماع مثل الهالة.

وأذهلها.. أذهلها بالكامل. ولم يكن عناقه خطيراً فقط، بل إنه جنون. وربما شكّل بداية تغيير في اتجاهات الحياة.

ولا بد أنه فكر هكذا أيضاً، فقد تمتم: «لا أستطيع المبالغة في هذا».

أحست كريستي ببهجة موجعة.. وابتهمته: «أنت تقضي وقتاً ممتعاً، أليس كذلك؟ ألا تظن أنني أعرف؟».

ابتسم لها: «إنها استراتيجية الزواج، وما غيرها؟».

ولامس خصلة من شعرها بإصبعه: «أنت ملاك، وما زلت مندهشاً. كان يجب أن تسميك أمك أنجليكا».

ـ أنا مسرورة لأنها لم تسمني هكذا، فأنا أحب اسم كريستي.

ـ باختصار أنت تحبين الحب!

ـ وأنت تخاف منه آش ماكينون.. تخاف من قلبك.

انقلب تعبير وجهه إلى السخرية: «يا حلوتي كريستي.. هذا مشهد من أوبرا تجارية. ولا أستطيع تحمله.. كنت سأكتفي بعناق واحد، لكنني أعتقد، وكعقاب لك، أنني سآخذ اثنين».

رمته نظرتها الخضراء بتحذير زائف: «قد أصرخ».

ـ لا.. لن تصرخي.. أعتقد أن القليل من المعاناة سوف يعجبك.

وضمها بشدة بين ذراعيه، غير متوقع أيّ مقاومة، ولم يخب ظنه. واشتعلت في داخلها مشاعر فجة عميقة، وكأنهما يعيشان في كهف سري.

قال آش ساخراً: «لا أعتقد أنك تكرهين الأمر بهذا القدر، لكن بإمكانك أن تعتذري».

ـ من أجل ماذا؟

وكان من الصعب عليها أن تستعيد أنفاسها. لكنها لم تشعر بألم بل راح جسمها كله يرتعش ارتباكاً تحت وطأة ما حدث.

ـ لا يبدو أنك تشتاقين إلى حبيبك السابق؟

هزت رأسها: «لا».

وخطر ببالها أن ما أحست به نحو جوش كان وهماً.

وتابع آش باندفاع: «لقد ارتكبت غلطة رهيبة حين ظننت أنك تحبينه».

وأحست بالهدوء: «أجل.. هذا صحيح، هل اكتفيت أيها الرجل الظالم؟».

- في الوقت الحاضر نعم. لكنك في فترة تجربة ليس إلاّ، ولن نعرف بالتأكيد إلا بعد أن تريه مرة أخرى.. معظم أفراد العائلة يأتون إلى هنا من أجل عيد الميلاد.

تأوهت بصوت منخفض: «أنا لست من العائلة، ولن أكون هنا».

- ستكونين هنا.

وكأن هذا أمر قد سوي.

- والآن يجب أن أذهب. كان يجب أن أذهب منذ وقت طويل ما عدا أنك قمت بما في وسعك لتأخيري وإلهائي.. انظري إذا كان بالإمكان أن تتبعي نظاماً خاصاً. إحدى فتيات لوني ستساعدك مع الولدين.. ربما ميتا، إنها جيدة مع الأولاد، وهي ذكية جداً وفنانة. أريد أن يكون لك وقت لنفسك، قد ترغبين في ركوب الخيل في الصباح الباكر، أو في وقت متأخر من بعد الظهر. فمن الأفضل تجنب وقت ارتفاع الحرارة خلال اليوم. لقد انتقيت لك جواداً مناسباً، وأنا واثق من أنه سيعجبك.

- أوه.. شكراً لك.

وأحست بإثارة جعلتها تمد يدها وتلف أصابعها حول ذراعه.

قال ساخراً: «يكفي هذا القليل منك أيتها المخادعة الصغيرة!».

قالت كريستي: «لو لم تكن لطيفاً، أعتقد أنني كنت سأكرهك.. هل لديك «بوني» مطيع لأعلم الولدين الركوب؟ فقد قال لي كلاهما إنهما لم يركبا جواداً من قبل».

ضاقت عيناه السوداوان بالتفكير: «نحن لم نسأل نك.. لكنني واثق أنها لن تمانع.. أنت فارسة ماهرة.. كما تقولين؟».

- وأنا معلمة جيدة كذلك.

- أمهليني اليوم لأصحح بعض الأمور. لقد وضعت سيارة جيب تحت تصرفك.. بإمكانك والولدين الخروج في نزهة، أو مهما يكن. سأترك الأمر لك.

- أجل سيد ماكينون.. سيدي.

ولامست جبينها بتحية متقنة، فرد عليها بابتسامة جميلة..

- على فكرة.. سنستقبل فرقة موسيقية في نهاية الأسبوع. فمنذ سنتين كانوا يأتون لعزف الموسيقى الكلاسيكية الخاصة بالبراري.

اغتبطت كريستي: «هذا رائع».

- أتعتقدين أنك قادرة على تنظيم الأمور؟

أحست بالصدمة، مع الإثارة.

- ماذا؟ تنظيم المناسبات هي قلعتي الحصينة، من ستدعو؟

- كل من يعمل في المزرعة. وبما أن آفوسنا تستقبل المناسبة هذه السنة، ستدعو عدداً من الجيران، ليأتوا بطائراتهم.

- وأين ستقام الحفلة؟

وأظهر صوتها عمق اهتمامها.

- في القاعة الكبرى.. حيث نقيم عادة حفلات الاستقبال.

وتصورت الحدث في رأسها: «لم لا تقام الحفلة في الهواء الطلق؟ تحت النجوم. سماء الليل رائعة هنا. ولا يوجد تلوث يغشى لمعان النجوم».

وبدا مرتاباً قليلاً: «لم أفكر بالهواء الطلق».

قالت: «دعني أفكر فيه. سأتجول في المكان...».

- لازمي المباني المنزلية.

وكان هذا أقل من أمر بقليل.

- حاضر! وسأخرج بشيء هذه الليلة، كيف ترى هذا؟

قال بارتياح حقيقي: «يبدو مساعداً جداً.. لن أستطيع المثابرة على العمل ست عشرة أو سبع عشرة ساعة في يوم واحد».

- كلف أحداً بالعمل أيها الرجل المسكين، إرم قليلاً من حملك علي..

وإذا لم أستطع حمله بإمكانك طردي.

وابتسم ابتسامة قوية أخرى: «هذا ما لن يحدث أبداً كريستي. في كل سنوات عمري لا أذكر سوى ضيف واحد طرد من الأملاك».

أدارت وجهها إليه تسأله: «وماذا فعل؟».

التوى فمه: «وجدت بعض الأغراض التابعة للمنزل في حقائبه».

ـ يا للسماء! أتعني أنك فتشته؟

ـ ليس بشكل عادي. فالسرقة ما كانت لتكتشف لولا أن الأغراض وضعت في حقيبة واحدة مضغوطة، وانفتحت.. وأستطيع القول إنها كانت صحفية.

ورفعت ذقنها المشقوق: «لم أكن أعرف أن الصحفيات من بين ضيوفك؟ على أي حال، أغراضك الثمينة آمنة معي».

ـ بالطبع أعرف هذا.

وانحنى ساخراً: «والآن سأمر بسرعة عبر غرفة نومك إذا لم تمانعي».

ـ أعتقد أنني أستطيع تحمل هذا، ألم تعد قادراً على تحمل تسلق الجدار؟

التفت لينظر إليها: «مرة واحدة تكفي!».

ـ كان جداراً مرتفعاً جداً.

ابتسم: «سأراك الليلة إذن».

وتقدم بهدوء عبر الغرفة.

ـ لن أتمكن من العودة إلى المنزل قبل المغيب، وما زلنا نستبدل مصارف الماء بالأنابيب. وسيكلف هذا عشرات الآلاف من الدولارات، لكن الماء مصدر عجائبي هنا.

سألت: «أوليس الحوض الأرتوازي الكبير تحتنا تماماً؟».

ـ صحيح.. تحت معظم أراضي «كوينزلاند» وقد يكون أكبر مصدر جوفي للمياه الصافية. لكن الكثير منه يذهب سدى، فهناك مئات الآبار في ولايتنا مثلاً. ويجب بحث المسألة كلها بجدية.

رفعت رأسها تنظر إليه، وهو يتحرك نحو الباب.

ـ وأنت تنوي وقف الهدر؟

ـ تماماً.. يجب أن يكون هناك أقفال لكل أنابيب المياه، أو على الأقل، يجب أن يشرف عليها رؤساء العمل.

ولم تكن تدرك وجود مثل هذه المشكلة: «إذن لماذا لا يفعل الجميع هذا؟».

ـ بسبب المال، أو النقص في المال، كل هذا مكلف. لكن يجب الحفاظ على الحوض للأجيال القادمة.

ـ إذن، فهذه مسألة كبيرة؟

ـ يجب إيجاد حل. والآن، انتهت المحاضرة اليوم.

ـ لا.. فأنا مهتمة جداً.

ـ وأنا لم أكن أفكر في أنك مجرد وجه جميل.

بقيت كريستي مسمّرة مكانها تستمع إلى حديثه، وقبل أن تستطيع الحركة، داعب أنفها بمحبة وانصرف.

بعد ذهابه، عادت إلى سريرها وارتمت فوقه ودفنت وجهها في الوسادة. ما تشعر به نحو آش ماكينون، يصعب وصفه في كلمات. كل ما كانت تعرفه هو أنها تغيرت كثيراً منذ لحظة دخوله حياتها فهي لم تعد تعمل بالطريقة ذاتها، لعلها وقعت بحب هذا الرجل بجنون. فهذا ممكن، وعليها مواجهة الحقيقة.. ولم تستطع إبعاد الفكرة.. إنها تحب بجنون رجلاً يريد أن يستبدل الحب الرومانسي بالقيم الصلبة الثابتة؟ هذا جنون، فربما يتسبب بتحطيم قلبها، لكن هذا على الأقل، سيكون سرها الخاص.

تأثير السفر المتعب تملك بالوالدين أخيراً، وناما إلى ما بعد الساعة التاسعة، ولم يتحركا إلا بعد صعود كريستي إلى الطابق الأعلى لتراهما.

ـ أيها الشابان! هل ستبقيان في الفراش طوال اليوم؟

وقفت عند أسفل سرير كيت تداعب أصابع قدميه. وجلست كايت تدعك أنفها: «كم الساعة الآن كريستي؟».

ردت كريستي ممازحة: «حسن جداً، الوقت ليس متأخراً كثيراً».

ونظرت إلى ساعتها: «الساعة التاسعة وعشرين دقيقة. لكن كان يومكما متعباً بالأمس. هل نمتما جيداً حبيبي؟».

واستدارت تنظر إلى كيت المتوتر.

ـ لا أستطيع أن أصدق أنه الصباح.

واندفع خارجاً من السرير ليركض مباشرة إلى كريستي يحتضن خصرها: «لقد أغمضت عيني لتوي».

تأوهت كايتي: «لقد نمت لساعات وساعات أيها السخيف».

شجعتها كريستي بصوت مرح: «إذن انهضي من السرير! لوي تنتظر لتحضر لكما الفطور. أي شيء تحبانه ما عدا الكايك. ثم سنتجول نحن الثلاثة بين منازل المجمع السكني».

سأل كيت بإثارة، وهو ينظر إلى كريستي عن كثب: «وما هو المجمع السكني؟».

قالت كايتي: «أماكن السكن والاسطبل ومبانٍ أخرى مثل القاعة الكبرى».

هزت كريستي رأسها: «أحتاج إليكما معاً لتريا المكان.. سيزور موسيقيون المزرعة نهاية هذا الأسبوع، إنها فرقة رباعية وتربة».

وصفقت كايتي التي تعرف معنى الفرقة الموسيقية، بيديها الإثنتين: «أوه.. عظيم! وهل سيكون هذا ليلاً؟ هل ستتمكن من البقاء مستيقظين؟».

ـ لا أرى سبباً يمنع ذلك، فنحن نقضي إجازة على أي حال.

سأل كيت بصوت متأمل: «وهل سيكون هناك شواء؟».

وقالت كريستي: «كل من يعمل في المزرعة مدعو، وأناس من الجيران كذلك. واليوم سنقرر أين سنتناول الطعام جميعاً، ثم أين سنجلس لنستمع إلى الموسيقى».

سألت كايتي: «أتن نذهب إلى القاعة الكبرى؟ إنها حقاً كبيرة، أكبر من قاعة المدرسة».

ـ خطر لي أن إقامة حفلة موسيقية تحت النجوم سيكون جميلاً، كايتي.

واستدارت إلى الولدين تطلب الموافقة: «ما رأيكما؟».

صمت الولدان لحظة، ثم رفعا وجهيهما إليها، وعيونهما الياقوتية تلمع. وضحك كيت: «واستطيع أنا أن أشوي النقانق».

عبست كايتي: «لا تستطيع، أنت صغير جداً. لكن، أستطيع تمرير بعضها لك لتأكل».

وأمسكت يد أخيها الصغير بحلاوة: «تعال.. دعنا نرتدي ثيابنا».

وراح كيت يقفز صعوداً ونزولاً من الإثارة، وصاح: «هيا.. نحن حقاً معجبان بك كريستي».

مدت كريستي يداً وصفق الثلاثة كفوفهم معاً: «وأنا كذلك.. يا صديقي الصغير».

لزم كريستي والولدان بضعة أيام ليستقروا في روتين يسمح لكريستي بتخصيص وقت لنفسها. وكما قال لها آش في البداية، كان لدى لوي خادمات يساعدنها في ترتيب وتنظيف المنزل الكبير، وهن فتيات من السكان الأصليين. إحدى الفتيات، ميتا، كانت جيدة بشكل خاص مع الولدين، لطيفة لكن حازمة، مما جعل كريستي تلجأ إليها في معظم الأحيان للمساعدة. كما لاحظت أنها تملك مهارة فنية مميزة اكتشفت في ما بعد أنّ ميتا ورثتها من سلالتها القديمة.

كانت ميتا تعرف بالضبط كيف تبقي الولدين مسرورين.. وعلمتهما كيفية صنع تماثيل تشبه حيوانات الصحراء بواسطة المعجون الذي كان لكريستي بُعد النظر لتحمله معها. وعلمتهم كذلك مبادئ الرسم والتلوين، وحفزتهما بأفكار وقصص من أيام الحلم. وكانت النتائج مرضية بشكل مدهش، وأظهر الولدان اهتماماً فنياً، ربما لأنهما ما زالا صغيرين. وأخذت مساحة في غرفة جلوس كريستي تمثل بسرعة بنماذج عن لوحات الولدين، التي أرادا أن يأخذاها معهما إلى البيت ليريا لوالديهما.

وأحست كريستي بسعادة قصوى، وهي المعجبة باللوحات التي يرسمها أهل البلاد الأصليين، حين اقترحت ميتا عليها أن تزور أحد

المخيمات «البدوية» المتنقلة، والتي تبقى فوق أراضي آغوستا لفترات متفاوتة حيث يعيش السكان الأصليون حياة صحية محمية ويتوفر عمل للجميع. والسكان الأصليون رعاة ماشية ممتازون، وصانعو سياجات، وميكانيكيون.. وزوجاتهم وبناتهم يقمن بأعمال مختلفة في المزرعة، ويصنعن السروج والأحذية، ويحكن السلال والسياط أو يعملن في المنزل الكبير.. ويذهب أولاد السكان الأصليين إلى مدرسة المزرعة الصغيرة مع الأولاد البيض والخلاسيين.. وكان يُنظر إلى آش ماكينون، بالرغم من صغر سنه، كرمز للأب والمعيل، فهو رجل طيب، ولطيف.

وبدأت دروس ركوب الخيل، مما أفرح الوالدين وجعلهما يشعران بالراحة والسعادة. ولم يكن أي منهما قد اعتلى ظهر جواد من قبل، لذا دهشت كريستي للسهولة وعدم الخوف اللذين أظهراهما حين جلسا أول مرة على السرج. وجلس كيت، ذو السنوات الأربع بأمان أكثر من شقيقته الكبيرة وبدا أكثر توازناً.

وكان آش قد وفر لهما، من اسطبل رائع لطالما ألهب مخيلة كريستي، «بوني» صغير وجميل، أبيض اللون، اسمه «أوبال». وكما كان متوقعاً، كان أوبال جيد الطباع ومدرباً تدريباً جيداً. لذا كان أول الدروس تجربة ممتعة. وكانت بداية محظوظة للوالدين، لأن كريستي لم تكن فقط فارسة ماهرة، بل لها القدرة على كسب اهتمام الصغيرين وإيصال المعلومات الأساسية التي تمكنهما من انتظار درس الركوب التالي.

ومن أجل متعتها، وفر لها آش مهرة جميلة اسمها راقصة الصحراء. حيوان مطواع، ومتقبلة لكل أوامرها. وهكذا كانت كريستي تبدأ يومها بنزهة في الصباح الباكر، وترتب أمورها بحيث تعود إلى المنزل في الوقت الذي يتناول فيه الولدان طعام الفطور.. ومع كل النشاط والهواء النقي، لم يجد الولدان مشكلة في البقاء نائمين، إلى حوالى السابعة والنصف موعد عودة كريستي من نزهتها.

وكانت كريستي قد أبلغت آش بما خططت له بالنسبة للحفلة

الموسيقية، وأصغى إليها، ثم أعطاها الصلاحية لتفعل ما تشاء، ووفّر لها اثنين من النجارين في المزرعة لبناء قاعة مستديرة في الهواء الطلق. فجاء البناء خفة للنظر تناسبت تماماً مع المحيط الصحراوي. واعتقد الولدان أنها رائعة، وأخذا يتفحصان سير العمل يومياً. وصاحت كايتي وهي مستلقية على العشب تنظر عبر الأوراق الخضراء الفضية لأشجار الصمغ، نحو السماء الزرقاء: «سوف أحبها كثيراً، هل يمكن أن نلعب فيها في ما بعد؟».

ـ طبعاً.. نستطيع إحضار الغداء إلى هنا.

في الواقع، كان هناك الكثير مما يمكن عمله. وظنت كريستي أنه قد يلزمها العمر كله، لتتعرف إلى آغوستا جيداً.

وتباحثت لساعات مع لوني حول الطعام الذي ستقدمانه.. ويجب إطعام ما لا يقل عن خمسين شخصاً إضافة إلى ثمانية أولاد صغار، وقررت كريستي أن اللحم المشوي هو الطريقة الأنسب لهذا، فأقيمت موائد حجرية ضخمة للشواء عند مؤخرة المنزل ومنطقة بركة السباحة.. يسهل الوصول منها إلى المطبخ.

قالت لوني لكريستي بطريقتها اللطيفة: «لن تحتاجي لفعل شيء حبيبتي، ليس ليلاً. أنت بحاجة إلى الاستمتاع بوقتك».

قالت كريستي بإصرار: «سأتمتع وأنا أساعد».

ضحكت لوني: «حسن جداً، ستضطرين إلى بداية مبكرة. فحتى الشواء يتطلب الكثير من العمل.. لكنك منظمة عظيمة كريستي، والسيد آش يوافق على هذا».

بحلول الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم السبت، كان الموسيقيون والضيوف من المزارع المجاورة قد وصلوا، واستفروا إما في غرف نوم الضيوف في المنزل أو في أحد أمكنة نوم عمال المزرعة إذا كان الضيف وحيداً، حيث ينالون على الأقل بضع ساعات من النوم.

وبدا الجميع متمتعاً بروح معنوية مرتفعة مرحة، ولو أن كريستي كانت

نعي بشيء من القلق أن هناك تخمينات حول سبب وجودها في آغوستا ومركزها في حياة آش ماكينون بالضبط. فهو رجل شهير ومعروف، ويذكر الجميع الصديقات اللواتي عرفهن عبر السنين، وكان هناك اثنتان بارزتان. إحداهن جيما ميلنرهيل، التي جاءت مع والديها واثنين من أخوتها غير المتزوجين، للتمتع بالحفلة. ولم تجد كريستي صعوبة في معرفة جيما، فقد كانت أجمل وصيفات كاليستا، وهي التي أمسكت ذراع آش في حفل الاستقبال، معاتبة إياه لأنه كان قاسياً عليها.

جيما من جهتها، بدت مصدومة جداً حين وقع نظرها على كريستي. ولم تستطع إخفاء صدمتها، فتجهمت قسمات وجهها الرقيق، الحاد قليلاً حتى أنها بدت كمن تلقى لكمة. فهذه هي الفتاة التي أسرت الكثير من الاهتمام في عرس كاليستا.. المرأة الغامضة التي لم يعرف أحد شيئاً عنها سوى آش، أقسى رجل في العالم يمكن اصطياده، والذي بقي ملتصقاً بها طوال الليل. وتعاظم الغضب والقلق والغيرة في قلب جيمينا.

كل هذه المشاعر، سجلتها كريستي مع نظرة جيما المتجهمة إليها. ولم يكن المرء بحاجة لأن يكون قارىء أفكار ليدرك أن بينها وبين آش تجاذب قوي، تجاذب يشاركها فيه والداها، وأخوان طويلان نحيلان جذابان، لم يستطيعا سلخ عيونهما عن كريستي حتى وهما يحييان آش بحماس كبير ويصافحانه.

سأل دالتون، الأكبر سناً: «من هي هذه السيدة الجميلة؟».

استدار آش إلى حيث كانت كريستي تقف ومد ذراعه: «كريستي.. أنت لا تعرفين عائلة ميلنرهيل.. أليس كذلك؟».

ابتسمت كريستي وتقدمت خطوة إلى الأمام، مصممة ألاّ تسمح للعدائية الواضحة التي تنضح من نساء عائلة ميلنرهيل بازعاجها، مع أنهن حاولن أن يبقين مشاعرهن مكبوتة، وراء ابتسامة اجتماعية كبيرة.

قالت كريستي بطريقة لبقة: «أذكر جيما من حفلة زفاف كاليستا، لكنني لا أعتقد أننا تعارفنا حقاً».

وبالكاد وصلت ابتسامة جيما إلى التكشير: «لا أظن أن أحداً فاته ملاحظة وجودك، بشعرك الأشقر وجمالك. تساءلنا كلنا من تكونين. أعني أننا كنا جميعاً نعتقد أننا نعرف أصدقاء آش».

تدخل آش بنعومة: «واضح أنكم لا تعرفون كل أصدقائي».

وبدأ بالتقديم الذي فقدت كريستي خلاله توازنها. فقد رحّب بها رجال العائلة بدفء كبير، إلاّ أن السيدة ميلنرهيل لم تستطع أن تخفي خيبة أملها وهي تسأل: «أنت مقيمة هنا عزيزتي؟».

وحدقت بشدة في كريستي بعينين زرقاوين ثاقبتين.

ردت كريستي بعفوية وهي تشعر بالخطر: «أنا أعتني بالولدين في الواقع.. أبناء بنت عمة آش، نيكول وزوجها في إجازة».

قالت جيما بحدة: «بالطبع نعرف نيكول وزوجها. أنت إذن نوع من المربيات؟ وتقبضين أجراً؟».

مرة أخرى تحرك آش بجسمه الطويل الأنيق، ليقول: «كريستين هي ضيفتي جيمينا. وأنا من ضغط عليها لتأتي إلى هنا. فلك قطعاً تحتاج إلى عطلة، فعرضت كريستي رعاية الولدين. إنهما الآن يأخذان قيلولة كي يبقيا مستيقظين من أجل الحفلة، أو على الأقل لجزء منها.. فهما لا يريدان أن تفوتهما. سنراهما في ما بعد».

تنهدت الآنسة ميلنرهيل: «سيكون هذا جميلاً».

ربما يكون آش قد انفصل عن جيمينا منذ سنة أو أكثر، لكنها لم تتخلَ عن الأمل بأن يعودا إلى بعضهما. وآش الرائع، رجل صعب المراس.. وهو الذي يضع قوانين لعبته الخاصة، ويلعبها تبعاً لهذه القوانين.. ومن الصعب جداً اقتناصه.. والآن، هذه الشقراء الذكية والجميلة ستقيم معه في منزله، ودون مرافقة أحد. وهذا مثير للاضطراب كثيراً.. ولم تستطع السيدة ميلنرهيل سوى أن تخمن كم تشعر المسكينة جيمينا بالبؤس.

في الواقع، كان اضطراب جيما العاطفي يهدد بأن يفلت الأمر من يدها، فالغيرة تفور في داخلها مثل المرجل. بالنسبة لها، كانت علاقتها مع

آش مقطوعة مؤقتاً، وكانت تأمل بأن يجتمعا مجدداً وعاشت على هذا الأمل. وسوف نعرف من أين جاءت كريستي باركر ومن هي بالضبط حتى لو أمضت الليل بطوله لمعرفة ذلك. شيء واحد مؤكد، إنها ليست هنا لأجل وظيفة في المنزل.

وقدم الطعام باكراً كترضية للأولاد الحاضرين. كريستي، ومساعدوها حضروا الموائد والمقاعد في مؤخرة الحديقة. وغطيت الطاولات بمفارش أنيقة مخططة مع مناديل طعام براقة. واختيرت سلسلة كاملة من الأطباق ذات الألوان الرائعة مع مصباح صغير يشبه نور الشمعة في وسط كل طاولة. أنوار بيضاء جميلة زينت الأشجار القريبة. إضافة إلى الأنوار التي كانت تتدفق من المنزل وحول بركة السباحة. وبدا المنظر رائعاً.

في حوالى السابعة اجتمع الجميع أمام المنزل لحضور الحفلة الموسيقية، وجلسوا فوق المرج على الكراسي المحضرة سلفاً، أو على البسط والبطانيات، وتمدد الأولاد بكامل طولهم وذقونهم فوق أيديهم.

نظرت كريستي حولها إلى الوجوه السعيدة المترقبة، لترى آش وجيما واقفين يتبادلان حديثاً جدياً، أو أنه كان يبدو هكذا.

للحظة، غمر كريستي إحساس بأنها لا تنتمي إلى هنا. كل هؤلاء الناس يعرفون بعضهم بعضاً.. فعائلاتهم متجاورة منذ أجيال.. ومن المتوقع أن يكون ولاءهم لبعضهم البعض. ولو أن آش لم يتحدث عن جيمينا قبل الآن، إلا أنه بدا واضحاً أن علاقة خاصة كانت تربطهما في وقت ما.. وأبعدت كريستي نظرها بسرعة، وكأنها مختلسة للنظر، ودفعت وسادة تحت رأس كيت لتجعله أكثر ارتياحاً.

وحان وقت البداية.

كانت الموسيقى جميلة، لتشيكوفسكي، دفيوراك، بوردين. بألحان ميلودرامية رائعة، مما جعل عيني كريستي تدمعان. ولم يكن هناك فترة استراحة لكسر السحر. وأراد كل المستمعين أن يستمر هذا السحر.. في ما بعد، تلا العزف سكوت كامل لبضع لحظات لم يكسره سوى صيحات طيور

الليل، قبل أن ينفجر كل رجل وامرأة وطفل في تصفيق طويل مرتفع.

وكانت كريستي قد شاركت بساطها مع الولدين، وحان الآن وقت خلودهما إلى النوم.

وتوسلت كايتي: «ألا يمكن أن نبقى كريستي؟».

ـ مستحيل حبيبتي.. أنت ناعسة الآن. وعيناك نصف مغمضتين.. وانظري إلى كيت.. كانت حفلة رائعة، أليس كذلك؟

ـ سأخبر والدي بأنني أريد أن أتعلم العزف على الكمان ما إن أعود إلى البيت. أنا أعرف بعضاً من هذه الأغاني الجميلة.

وتثاءبت كايتي بحرية، ثم صاحت: «ها هو العم آش».

واستدارت كريستي، التي لم يكن لديها فكرة أين كان يجلس.

ـ حان وقت نومكما.

وانضم إليهم يجثو على ركبتيه، وداعب كيت: «هل تمتعت؟».

قال كيت: «كانت حفلة جيدة».

ورمت كايتي ذراعيها حول عنق آش وقبلته.

ـ ماذا لو أحملك كيت؟

فقد كان الولد الصغير نصف نائم.

توسل كيت: «على ظهرك».

وبقي آش إلى أن وضع الولدين في الفراش، وهبطت جفونهما ما إن وضعا رأسيهما على المخدتين.

ولحق كريستي إلى الردهة في الخارج: «لقد سار كل شيء على ما يرام. وكان البرنامج مناسباً تماماً. واستمتع الجميع».

قالت كريستي، مع قليل من التشوش ما بين الألم والبهجة: «لقد أحببتها».

ـ واعتقد أن الجميع أحبها.

أمسك كتفيها وأرجعها إلى الجدار: «وما هو التالي؟».

نظرت إليه بحذر. ماذا تعرف حقاً عن هذا الرجل؟

تمتم: «حسن جداً، أود أولاً أن أشكرك على تنظيم كل شيء».

ردت مرتجفة مع استيلاء جاذبيته عليها: «لقد ساعدت».

ـ مع ذلك فقد أتممت كل شيء بتفوق، المواقع، والطعام.. تستطيع المرأة أن تنفذ الأمور بأناقة أكبر.

التمعت عينا كريستي، وارتفع اللون إلى خديها: «شكراً لك. لكن، كان بمكنك طلب هذا من جيما».

ولم تكن تنوي قول هذا، لكن الكلمات خرجت من فمها رغماً عنها.

ـ لكنني طلبت منك.

ورفع خصلة كثيفة من شعرها، كما كان يفعل دائماً، ولفها على إصبعه ثم تركها.

وسألت: «هل أحببتها يوماً؟».

قال بنعومة: «قلت لك من قبل كريستي، أجد صعوبة في وصف الحب».

ـ سأقول هذا بطريقة أخرى، هل أقمت علاقة معها؟

أمسك وجهها بين يديه: «وما شأنك أنت بهذا؟ بكل تأكيد ستتألم رجولتي لو قلت إنني لم أقم علاقة مع امرأة من قبل».

ـ أفهم من هذا أن الجواب هو نعم.

ـ ولماذا يقلقك هذا؟

ـ لأنني لست غبية.

ـ أتعنين أنك تعتقدين أنني أحاول الوصول إليك؟

وأجفلت، لتقول مدافعة: «لقد حاولت أن تبتزني».

ـ لكنني ظننتك تستمتعين بما فعلت كريستي؟

ـ إلى درجة ما.

لم تكن تعرف ماذا تقول، فالإثارة كانت كبيرة.

ـ إذن دعينا نتزوج.

كان اقتراحه هادئاً وكأنه يقول: دعينا نخيم تحت النجوم.

وتصلب صوتها إلى درجة التكسر: «ماذا؟».

ـ قلت، دعينا نتزوج.. أنت تريدين التزاماً.. وأنا أحارب اتجذابي القوي نحوك والذي يدفعني إلى التهوّر، فإذا أحببت يمكن أن نعلن خطوبتنا.

تراجعت تستند إلى الجدار: «كي نستطيع في ما بعد أن نجرب؟».

وبدت المرارة في عينيها وارتجف جسمها توتراً.

ـ لم أطلب منك هذا. فقد سئمت انتظار سهم كيوبيد ليصيب قلبي.. ألم تسأمي؟

راقبت وجهه، وفمه وعينيه اللامعتين الساخرتين. وقالت، وهي تشعر بالاضطراب قليلاً: «وكيف تعرف أن سهم كيوبيد لم يصبني؟».

ـ لا تحسبين حساباً لديكنز.. وأنت لا تحبينني.. أليس كذلك؟

ـ وهل تظن أنني غبية بما يكفي لأقول نعم؟

واستعادت، متأخرة، شيئاً من سيطرتها على نفسها. وحاولت تجاوزه، لكنه أوقفها.

ـ هناك وجه جيد لهذا كريستي، وأنا أظن أننا متناسبان. أنت جميلة وذكية، وتشعرين بالأمان والسعادة في عالمي، فلا تقلقي. كنت أراقبك.. أنت ناعمة ولطيفة، وأراك مع الولدين، ومع الموظفين، ولوني تحبك.. وميتا تردد دائماً: قالت الآنسة كريستي هذا وقالت ذاك.. ولك يد رقيقة وحساسة.

قالت جادة: «هذا ما آمله، فأنا أؤمن بأن أكون ذاتي. أما بالنسبة إليك؟ أظن أن هذا جزء من خطتك لإبعاد صديقاتك القديمات عنك، مثل جيما مثلاً».

التوى فمه: «أستطيع أن أقسم أن جيما نسيت كل شيء عني».

ـ لكنها قالت تلك الليلة شيئاً مختلفاً؟

تحدّاها بعينين ضيقتين: «لماذا تقولين هذا؟».

ـ لأنني لمحتكما تتحدثان معاً قبل بدء الموسيقى.

ضحك ضحكة مختصرة: «كريستي.. كريستي.. أوليس هناك شيء اسمه الخصوصية؟ جيما تحب الأسئلة كثيراً، وأعتقد أننا يجب أن نوقف كل كلام عنها».

ـ إذن كان هناك كلام؟

وكانت تعرف هذا. واستطاعت أن تشعر به، ولمَ لا؟ فالأقاويل هي الشيء الذي يتبادله معظم الناس.

هز آش كتفيه: «تعرفين كيف هم الناس. كان الجميع ينتظر أن أتزوج، منذ أصبحت في الثامنة عشرة.. والله يعرف السبب. لكن يجب أن أقول لك، لدي ذعر من الأمهات الضاغطات».

ـ خاصة من هن مثل السيدة ميلنرهيل؟

هز كتفيه بمرح: «أنت لا تعرفين شيئاً عن الحيل التي تحضرها غوين في وقت فراغها. ولقد علّمت جيمينا كل ما تعرف».

قالت كريستي، وقد انقلب تعبيرها إلى السوداوية: «على الأقل أنت لم تنبذها؟».

ـ أرجوك، لا تعودي إلى تعلقك السخيف بجوش ديكنز وإلاّ فسأفقد أعصابي تماماً.

ولمعت شعلة في عينيه السوداوين. وجمد الجو فجأة، مثقلاً بالتوتر الذي كان يجري تحت كلماتهما المتدفقة.

وأثارته دون اكتراث: «هيا افقدها، لا أحد هنا يراك».

وكانت كلماتها كعود ثقاب للفتيل. وشدها بقسوة إلى ذراعيه، لا يترك لها مجالاً للحركة، ولا للهرب بالتأكيد. كان عناقه مجنوناً وسريعاً، وتفجر فيه الحب المشبوب كتفجر البركان.

وتركها آش بعد دوران رهيب: «أنت تدفعيني إلى الجنون.. وتعرفين كيف».

انسدل شعرها الطويل الكثيف على كتفيها. وقالت بآنسة تخترق درعه العاطفي: «العالم مليء بالنساء الجميلات».

ـ لسن مثلك.. لا مجال.

سألت بجنون: «إذن كيف سنعيش بسعادة إلى الأبد؟ قد أكون مثل أمك، فلدي شعر مثل شعرها».

وجمد وجهه المصدوم فجأة: «وهل رأيت صورتها؟».

وانهارت عدوانيتها: «لا.. لم أرها. ماذا تفعل آش؟ ماذا نحن نفعل؟».

ـ الله وحده يعرف.

واعترف كأنما انتزع منه الاعتراف عنوة: «كل ما أعرفه هو أنني أريدك أن تبقي».

ـ لا يمكن أن تعني إلى الأبد؟

وعرفت الآن كم ستكون حياتها فارغة من دون هذا الرجل المعقّد فيها.

زاد توتره، إذ اختبر مع كريستي شيئاً لم يختبره من قبل. فقد مسته المأساة في العمق، بالرغم من اعتماده الكلّي على نفسه، وتركت فيه ندوباً عميقة، وهو يعرف أكثر من أي شخص آخر أن «الحب» يترك الرجل عرضة لنوع من الموت بعد انسحاب هذا «الحب». وهناك ثمن لكل شيء. وما يشعر به نحو هذه المرأة، منذ أن وقعت عيناه عليها، جعله ضعيفاً.. لقد نجا من أحداث طفولته بإنشاء قوقعة منيعة حوله.. مع ذلك، تمكنت هذه المخلوقة الجميلة من فتح آلاف الشقوق فيها يومياً. إنه يريدها. والله وحده يعرف كم يريدها! لقد أعجبته فعلاً. أعجبه كل شيء فيها، وأحس أنها ترعاه، كما ترعى الولدين بمجرد رفقتها له.. فهل هذا هو الحب؟ هناك خيط قوي يجمعهما. وهي تعيه كما يعيه هو.. مع ذلك، كان يستعجلها ليطيح بها عن قدميها في وقت كانت هي فيه ضعيفة أيضاً. ولم يستطع التوقف.. لم يستطع.. وإدراكه أنه رجل مندفع كان يزعجه. واستطاع أن يرى مشاعرها في عينيها، كحبات ألماس كبيرة لماعة.

قال بهدوء أكبر: «لا شك أنك لم تسمعي ما أقوله كريستي».

وأخذ أصابعها ليرفعها إلى شفتيه: «أنا أريدك. وليس لمجرد علاقة

عابرة. أعرف أن هذا كان سريعاً جداً، التوقيت! لكنني لا أملك الكثير من الوقت، وتعرفين هذا. أريدك مع خاتم زواج ذهبي في إصبعك. ولو كنت صادقاً، فسأعترف أنني أريد إقفال الباب عليك كي لا تهربي مني».

زاغت عينا كريستي.. ثم صفا بصرها: «أنت تناورني آش».

وكانت تعرف جيداً أن الجدال المنطقي، وحتى التمثيل من أجل كرامتها لن يقفا في وجه المشاعر التي أثارها فيها.. وقالت: «أنا لا أعرف ما إذا كنت أريد الهرب منك، لكنني خائفة من التورط بشيء عميق بحيث لا أستطيع أن أجد الشاطىء.. أنا فقط أرى قمة جبل الجليد العائم معك. ولا أظنك تعرف مدى قوتك».

وبدا التحدي في عينيه البراقتين: «لكنك لست خائفة من التعامل مع هذا. أنا لست خبيثاً أو دون رحمة. لكني قد أكون عنيداً.. لَمْ لا نبدأ بالمراحل السهلة؟ خطبة تجريبية».

وعاد بنعومة إلى مرحه، في محاولة لإخفاء مشاعره الأعمق: «يجب أن يكون حفل الزفاف كبيراً، كما أخشى.. وهذا متوقع، وستكونين عروساً أنيقة. ألا تظنين أننا سنتمكن من العيش معاً كريستي؟».

هالته المثيرة التي نجتاحها أكثر فأكثر، كانت تهزمها. وأخفضت نظرتها قبل أن يلمح الدموع التي قفزت إلى عينيها.. كيف تستطيع التعامل معه؟

ـ كريستي؟

شدها مجدداً إلى ذراعيه بحنان لا حد له، وأحنى رأسه الأسود ليمرر خده على حرير شعرها.

ـ أرجوك لا.. لا تبكي.. دموعك تزعجني جداً.

ويا لها من مشاعر لا حدود لها!

حاولت كريستي استجماع أفكارها كي تستطيع التعامل مع ما يحدث لها، لكن هذا الرجل يحول دماغها إلى ضباب: «ما تحاول فعله آش، هو استعجالي للزواج بك. إنك تبذل جهداً كبيراً في هذا. الجزء الغريب الوحيد هو أنك تحاول استعجالي للزواج بك، وأنت لا تحبني.. فالحب بالنسبة لك

عالم محرّم».

وتأثر بعطرها المسكر، لكنه أبعدها عنه وابتسم لها تلك الابتسامة: «لم أسمعك تقولين إنك تحبينني».

وهذه فرصتها لتقول له إنها وقعت رأساً على عقب في حبه.. إلاّ أن عليها حماية ذاتها، وعليها حماية قلبها، والحفاظ على هويتها.

ـ كريستي.. ليس من عادتك أن تكوني مربوطة اللسان.

كان يشعر بالخوف يملأ قلبها: «أخشى ألاّ تثق بي آش. لقد أبعدتني عن حياتي، وجئت بي إلى هنا، وربما أنت تحاول إبعادي عن الطريق».

رد بعناد: «بعيداً عن طريق ديكنز؟».

تابعت، مصممة أن تكمل ما بدأته: «إنه يبعد نصف القارة عني، وأنا لا أحبه آش.. ولم أحبه يوماً.. واستطيع أن أرى هذا بوضوح الآن».

ـ وأرجو أن تستمري في رؤية هذا.

وتعالى التمرد من أعماق عينيه إلى أعماق كيانها. وقالت تتهمه وهي تبتعد عنه: «ماذا قلت لك لتوي عن الثقة؟ ما من رجل وامرأة يمكن أن يبنيا علاقة جيدة من دون الثقة».

ـ ما لدينا يكفي!

كان يعرف أنه قادر على تدمير كل شيء، لكنه عالق في قوة مشاعره الشرسة وإلحاحها. وظن أنه يرى قلبها يضرب بقوة.. وصدرها يعلو ويهبط، يحرك القميص الأبيض الحريري الذي ترتديه. واستطاع أن يشم عطرها الناعم. إنها ذاتها.. ومن هو؟ إنه رجل يحتاج إلى صدمة وعلاج ليكشف عن مكنونات قلبه.

ـ هناك شيء خاطىء في تفكيرك آش.

وكأنما كانت تتابع أفكاره، وتدرك التضارب الذي يجري داخله. فقد كان يعتمل في داخلها أيضاً، وكان من المستحيل على أي منهما أن يبدأ. لماذا لم تقل له إن ما تريده منه هو كل شيء! وليس المجهول الذي لا قرار له.

وحين رأى مدى اضطرابها، كبت آش جيشان عواطفه، محاولاً أن ينقل

بعض ثقل الحزن عن قلبه: «الجاذبية شيء قوي كريستي. لكن ما بيننا لا يتوقف عند هذا. وإذا تزوجتني فسيكون لك كل شيء..».

وانقلب صوته الرنان إلى التوسل الساخر: «ما أحتاج إليه هو ما يحتاج إليه كل رجل، امرأة جيدة. وسأقطع الصحراء سيراً على الأقدام لأصل إليها، لكنها هنا. وأنت تفين بالطلب بشكل رائع».

وكيف يمكنها أن ترد على هذا؟ فقد كان في صوته وعد لا ينتهي، وشعور يبعث الرعشة. وحين أحنى رأسه الأسود ليعانقها، استسلمت كريستي تماماً.

***

٦ ـ فوق حافة الصخور!

توسلت جيما للبقاء يوماً آخر، مدعية أنها ترغب بقضاء المزيد من الوقت مع ولدي نك الحبيبة.

وقالت بطريقة عفوية وابتسامتها الودية الدافئة تغطي استياءها: «هذا، إن لم يكن لديك مانع آش».

في الواقع كان الاستياء كلمة ملطفة، فقد كانت جيما شديدة الغضب لوجود كريستي في المنزل. وأضافت: «إضافة إلى أنني سأكون رفيقة لكريستي».

وأجفلت كريستي، فقد كان العذر جيداً.. بقاء جيما يعني أن آش سيمضي الوقت معها اكثر من كريستي والولدين.. وحين أعطى آش موافقته.. ارتفع مزاج جيما إلى ما يقرب الجذل..

الحقيقة أن الهم الأساسي لجيما هو انتظار آش ليطلب الزواج منها. على أي حال، هو لم يطلب ذلك بعد من امرأة أخرى. وكان هناك دزينة من النساء على الأقل لهن مثل هذا الطموح.. لكن ما من واحدة تشعر بمثل يأس جيما للحصول عليه كزوج. ولم يكن هناك أي عيب فيها بكل تأكيد، فقد ولدت في المزرعة وتربت فيها، وعائلتها محترمة جداً في عالم تربية المواشي. كانت تعرف أن آش يعاني من قلق عميق الجذور من نساء المدينة، تعود جذوره إلى محنة هروب أمه. فحسب قول والدة جيما، كانت ايف ماكينون جميلة جداً، لكنها كانت عاجزة تماماً كزوجة في مزرعة. وهذا أمر غير جيد أبداً، بالنسبة لصاحب مزرعة مثل ماكينون.

وكانت غوين ميلنزهيل تروي قصصاً عديدة عن «الهاربة»، الاسم الذي تشير به دائماً إلى أم آش، مما جعل جيما تعتقد في أعماقها أن أمها كرهت إيف الجميلة.. وأنها كانت معجبة بوالد آش. ولقد تعاطف الجميع مع ماكيتون والصغير آش، مما جعل من المذهل أن يختار آش فتاة مدينة لها شعر كأنه الذهب السائل لتعيش في منزله.

ولم يكن هذا منطقياً.. لكن آش لطالما كان غامضاً، يشوش أفكارها باستمرار في الوقت الذي تظن فيه أنها تعرفه.. وبعد نقاش سريع، أرسلت جيما أمها على عجل إلى البيت لتجري تحقيقاً بخصوص كريستي باركر. وكان عليهما أن يفعلا هذا من قبل، لكن لم يكن لديها أدنى فكرة عن أن آش دعا المرأة الشابة للإقامة في المزرعة.

حتى أن نيكول لم تتصل بها، وأحست جيما بالغضب والخيانة. كان يمكن لتلك أن تفعل هذا على الأقل. فهي تحتاج إلى الإنذار بيأس.. وكانت ستقوم هي بكل سرور برعاية الولدين، ولو لفترة قصيرة.

وفكرت جيما، أن هذا كان ليعطيها الكثير من الفرص لتقترب منه. وستعود الأمور إلى ما كانت عليه في الأيام الماضية حين كانا صديقين.. صديقين حقيقيين، يضحكان ويتحدثان معاً.

كيف وجدت كريستي باركر هذه طريقها إلى حياته؟ كانت جيما، بمساعدة أمها، مصممة على أن تعرف. ألم يكن آش يكره الشقراوات؟ فكيف إذن تمكنت هذه الشقراء بالذات من دخول حفل الاستقبال؟ لا شك أنها مدعوة من جهة العريس، جوش ديكنز..

مع أن الوقت كان باكراً عند الصباح، إلاّ أنّ الحرارة راحت تتراقص في موجات عبر السهول.. كانت بذور الأزهار السنوية والموسمية التي تتفجر للحياة بعد المطر هاجعة، تنام بهدوء تحت سطح الأرض النارية، كما ينام الطفل بهدوء تحت بطانيته..

جلست كريستي تراقب فرسها «راقصة الصحراء» ذات اللون البني الجميل، وتنظر إلى الأرض اللامعة، وهي تقف في مكانها المفضل وهو نقطة

على رأس جرف ضمن المزرعة.. وبدت الماشية صغيرة من هذه المسافة.

وفكرت كريستي بإعجاب بزنابق الماء التي تتجمع في كل بحيرة في المزرعة، بألوانها الزهرية، والزرقاء، والبيضاء، وخمّنت أن العديد من الناس قد سحرهم المحيط البرّي. فقد كانت المزرعة معزولة تماماً، مما يجعل النساء بشكل خاص يخفف من وحشتها وفراغها.. وربما هذا ما حدث لوالدة آش؟ حاولت التكيف، لكنها واجهت نمط حياة متطرف مقارنة مع النمط الذي اعتادت عليه.. ولا فائدة من سؤال آش.. فهو لا يريد أن يتكلم.

كانت كريستي تحب الركوب الباكر. فقد كانت الصحراء تُظهر مزاجاً أكثر نعومة مع الظلال الطويلة الممتدة فوق كثبان الرمل، ويمكن لها أن تستكشف هذا المكان إلى الأبد، لكن الولدان كانا دائماً في خاطرها.

وهي آمنة فوق السهل، تركت كريستي فرسها «الراقصة»، تتولى عنانها. وكانت الفرس البنية رائعة، وذكية جداً، ولم تكن «راقصة الصحراء» جواداً عاملاً بل سلالة أصيلة، محافظ عليها لمتعة الركوب فقط.

حين اقتربت من المساكن، خففت كريستي من سرعة «الراقصة». وكانت لوني تقول لها دائماً أن تأخذ وقتها، لكن كريستي تتلهف في العادة للعودة إلى المنزل والجلوس لتناول الفطور مع الولدين، لكن ليس اليوم، فقد كانت جيما في المنزل بعد يومين كاملين من إقامتها التي دعت نفسها لها.

ولم تظهر جيما، ولدهشة كريستي، بعد الإفضاء برغبتها في معرفة الولدين أكثر، أي اهتمام حقيقي بهما، وهذا أمر لم يفت الولدين. ولقد أثبتت عجرفتها وعدم عطفها في تعاملها مع ميتا، حتى أنها تمادت في تحدي قرار كريستي بالسماح للولدين بالبقاء برفقة ميتا. وبشيء من الخوف، لاحظت كريستي أن جيما واحدة من أولئك الناس الذين لا يؤمنون بتشجيع أي نوع من الصداقة مع السكان الأصليين، ولو أنها كانت تغضب لو وصفها أحد بأنها متطرفة عرقياً.. وبطريقة أو بأخرى راحت ترمي

ملاحظات مزعجة كدرت صفو العطلة.

وكان الولدان الحكم الممتاز على الكبار وتصرفاتهم ولم تخدعهما جيما.. وذكرت كريستي بالحديث الذي سبق وقت النوم مع شيء من المرح..

ـ هل تظنين أنها ستذهب غداً؟.

سألت كايتي، وعيناها الزرقاوان متلهفتان.

وامتنعت كريستي عن قول أي شيء غير لطيف عن جيما: «لا أستطيع القول حقاً، صغيرتي».

ـ لماذا تقول باستمرار: «لو أردت رأيي»؟

وقلدت كايتي صوت جيما المتكبر بسخرية.

ـ أوه.. حسن جداً، هذا مجرد تعبير..

قالت كايتي بلهجة امرأة في الستين: «إنها لا تحبك كريستي. لكنها بكل تأكيد تحب العم آش، وأعتقد أنها تريد أن تتزوجه».

جلس كيت في الفراش مستوياً ليصبح: «يا الله.. أتمنى أن لا يتزوجها، فأنا لا أحبها».

هزت كايتي رأسها مؤكدة: «ولا أنا.. كنا نمرح كثيراً حين لم تكن هنا ولسوف أصلي كي يأتي والدها اليوم بطائرته ليأخذها».

وكان دعاء كريستي الصامت وهي تطفيء الأنوار: «آمين».

على بُعد أقل من نصف ميل، وهو في طريق العودة إلى المنزل، كان آش يفكر كثيراً بالشيء ذاته.. لقد أرهق نفسه حقاً، ليجد الوقت اللازم لأخذ كريستي والولدين في جولة على المزرعة، لكنه لم يكن يحب أن يأخذ جيما معه. في الواقع، كانت الفكرة ذاتها تجعله متوتراً للغاية. فمن المؤكد أن إبعاد امرأة مثل جيما، ووضع حد لها أمر صعب.

أسوأ شيء فعله، كان مرافقة جيما كشريكة له في مناسبات قليلة. كانت إحداها إلى حفلة راقصة.. وماذا في هذا! لقد عرفها طوال حياته. لكنه لم يقم علاقة معها أبداً، إذ لم يكن مغفلاً ليعقد حياتيهما.

ولم يكن آش يدري لما هو مهذب هكذا لكن جيما ضيفة وهو يحب أن يشد لجام لسانه ولا يميل إلى السخرية إلى درجة مؤذية.. مع أن غيرة جيما من كريستي أخذت تصبح أكثر شراً. ولأنه يعرفها جيداً، كان مقتنعاً أنها تخبيء شيئاً.. فتيلة صغيرة تنتظر اللحظة المناسبة لتفجرها.

أرسل آش جواده يجتاز منحدراً رملياً في طريق مختصرة كي يقابل كريستي بعد نزهتها الصباحية. فبالكاد كانت جيما تترك كريستي تتكلم وقت العشاء، خاصة الليلة الفائتة. في الواقع، كانت تتصرف وكأنها سيدة آغوستا المستقبلية وكأن كريستي ضيفة. وكانت كريستي لطيفة جداً، لكن آش كان يشك كثيراً في أن يستطيع تحمل المزيد.

من مسافة بعيدة، استطاعت كريستي رؤية آش قادماً بسرعة كبيرة نحوها، والغبار الأحمر يتصاعد كأنه الدخان من تحت حوافر جواده. وعلى الفور، بدأ قلبها خفقانه المجنون. ومن دون علمها، أصبح وجهها مشرقاً بالسعادة والإثارة. وكان من الصعب عليها أن تسيطر على كل مشاعرها المتصاعدة حين يغمرها كل شيء، المزرعة، محيطها، التأثير الروحي للصحراء العتيقة، وفوق كل هذا مشاعرها نحو آش ماكينون. تلك المشاعر القوية التي غزت كل أوجه حياتها.

بعد خيانة جوش، توقعت أن تمر في سلسلة من الإحباط العاطفي. بدلاً من ذلك، ومع لقائها آش، أحست بأن أمراً جديداً حصل لها.. لقد وقعت في حبه بجنون، فهل هي ردة فعل؟ حب غير منطقي؟ قد يسميه آش كذلك. إلاّ أنها معجبة به وتحترمه. وجميع من في المزرعة يحبه ويحترمه.. وما من شك أن آش قادر على إكمال مسيرة أبيه، وقادر على إكمال مسيرة التقاليد العريقة لملوك الماشية. وهذا الرجل طلب منها أن تتزوجه! فلمَ لم تقل نعم في الثو والحال؟ فالزواج من آش سيكون تجربة رائعة.

بالتأكيد، يمكنها مواجهة مهمة جعله يحبها وينظر إليها كأهم امرأة في حياته. لقد عرفت قصة دمار زواج والديه، عن طريق خيانة أمه، لكن عليه أن يواجه هذا.. لمَ لا تستطيع هي أن تغير كل شيء؟ جعلتها الفكرة تشعر

بالدوران، أكان هذا من الإرهاق أو من الذعر، لم تكن واثقة تماماً.

كان جميلاً أن تنظر إليه، وهو يركب جواداً أبيض وسيماً بسهولة كلاسيكية ورشاقة. وكانت تعرف أنه يستطيع السيطرة على أي شيء وهو يعتلي السرج.

قالت له حين توقف إلى جانبها: «أنت حقاً فارس رائع.. متعة للنظر».

ـ شكراً لك سيدتي.

ورفع قبعته رداً، وابتسم لها تلك الابتسامة، التي لا تخلو من السخرية: «كنت آمل أن ألتقي بك، في الواقع جعلت من هذا شغلي الشاغل».

ـ هل ستعود إلى المنزل؟

كانت تعي أن عينيه السوداوين تتحركان عليها تلاحظان طريقة تصفيفها لشعرها في جديلة سميكة على ظهرها.

ـ كنت أنوي هذا، لكن جيما للأسف تثير أعصابي.

ولم تستطع مقاومة أن تقول: «أنت دعوتها».

رد متأوهاً: «أكره أن أقول هذا، لكنها دعت نفسها. وأنا أتساءل متى تنوي الرحيل؟».

ـ إذن، من الأفضل أن تسألها قبل أن تقرر الانتقال للسكن معك.

أنت التي أريدها أن تسكن معي. فكر بهذا وقلبه ينتفض: «وماذا تقترحين أن أقول لها؟ غيرتك من كريستي تجعلني غاضباً؟».

تحدته كريستي وهي تنظر إلى عينيه مباشرة: «حقاً؟».

هز كتفيه بنفاد صبر: «إنها صديقة، وما غير هذا؟ لقد عرفتها طوال حياتها».

ـ إذن، لماذا تعمل جاهدة لإقناعي بأنك تشاركها علاقة أعمق؟

ـ ربما لافتعال المشاكل. على أي حال لم تكن علاقتي بها بعمق والتزام علاقتك بديكنز.

تنهدت كريستي: «أعطني فرصة! لقد قلت لك، جوش أصبح من التاريخ القديم».

ـ بصراحة، أنا مرتاح لسماع هذا.

ورفع رأسه لينظر إلى صقر يحوم بحثاً عن فريسة: «يبدو أن جوش وكاليستا يريدان دعوة إلى آغوستا. فقد اضطرا إلى العودة إلى ديارهما أبكر مما هو متوقع. فقد التقط المسكين جوش جرثومة في معدته».

ولم يبذل آش جهداً ليبدو صادقاً: «واضح أنه كان يلتهم أشياء خاطئة».

وردت بجدية أكبر في تعليقها: «يا للحظ السيء! هل سمعت أخبارهما؟».

سأل: «أتعنين أنك تتمنين لو سمعتِ؟ سمعت من مرسيدس».

نظرت كريستي إليه نظرة مرتابة: «ويريدان المجيء إلى هنا؟».

ـ يريدان لقاء نك وبراندن حين يصلان لأخذ الولدين.

صدمت كريستي: «يا إلهي!».

من مسافة غير بعيدة انقض الصقر بسرعة ليلتقط أحد القوارض الصغيرة.

قال آش يتشدق بالكلام بطريقة مبالغ فيها: «وهل تصدقين هذا؟ أنا بالكاد أراهم ما عدا في عيد الميلاد.. والآن يريد الجميع أن يأتي».

ـ إذن، من الأفضل أن أخطط للعودة إلى ديارى.

ـ بالتأكيد قد ترغبين في رؤية جوش مجدداً؟

وكان على وجهه الوسيم أكثر التعابير إثارة للسخط: «لمجرد أن تتأكدي من مشاعرك!».

ردت كريستي بحدة جعلت «الراقصة» تتحرك خطوتين: «ما أريده حقاً هو سحق هذه النظرة من على وجهك».

قال موبخاً: «كوني حذرة في عنفك.. فقد أرد عليه».

بدت كريستي مرتاعة: «أنت لن تضرب امرأة».

ـ ومن قال شيئاً عن الضرب؟ كنت أفكر بشيء أكثر تشويقاً. على أي حال، وكما تعرفين، أنا رجل يحب أن يضع خططه مسبقاً. والتحذير المسبق كالاستعداد المسبق.

شدت كريستي لجام الفرس قليلاً، فالراقصة كانت تتململ.

ـ والمعنى؟

ـ لماذا لا نجد مكاناً ظليلاً؟

وشد قبعته الأكابورا إلى الأسفل أكثر فوق عينيه.

ـ أعرف أنك تعتنين ببشرتك الجميلة، لكنك لا تحتاجين إلى الكثير من أشعة الشمس. دعينا نذهب إلى البحيرة.

ـ ولمَ لا؟ فالبحيرة جميلة.

ـ لمَ لا نمرح قليلاً ونحن في الطريق؟ تعالي نتسابق.

نظر إلى ساعته اللماعة بطريقة مستفزة: «سأعطيك ثلاث دقائق لتتقدمي علي».

وأحست بموجة من الحرارة تتصاعد في دمها، وكانت الفرس البنية تستجيب: «هل تريد أن نتسابق أم لا؟».

رد آش وهو يميل فوق عنق جواده الأبيض: «هيا بنا».

وانطلقت كريستي كالصاروخ، دون أن تنظر مرة إلى الخلف. كانت تعرف أن آش فوق ذلك الجواد الجميل يستطيع تجاوزها، لكنها ستبذل قصارى جهدها. ويمكن لها أن تسلك الطريق المختصرة عبر السهل المنفتح أو... وكانت تمتد أمامهما أرض صخرية مرت كريستي حولها في مناسبتين. ويمكن لها أن تقفز من فوق قمتها..

لكن، ما لم يحسب كريستي حسابه، هو أن كنغراً صخرياً، اختار أن يعلن عن وجوده في تلك اللحظة، ووقف على مؤخرته كالغبي. وفي امتحان حقيقي لمدى فروسيتها، شدت كريستي اللجام وطار الحيوان النبيل وفارسته ليحطا بأمان في الناحية الأخرى. لكن كريستي، وبالرغم من كل جهودها، ارتمت من فوق السرج لتتلقى أوراق «الباراكيلا» الكثيفة السميكة والعشب

الطري معظم الصدمة.

ـ يا إلهي!

رد فعل آش الأولي المذعور انقلب إلى غضب حين وجدها مستلقية، تبصق العشب من فمها.

ـ لمَ كان كل هذا بحق السماء؟

وأحس بمزيج من الراحة والغضب بمزقه.

ولم تستطع أن ترد للحظة.. بانتظار أن تمتلىء رئتاها بالهواء.

ركع آش على ركبتيه إلى جانبها: «كريستي؟ أنت بخير.. أليس كذلك؟».

وأحست بغضبه، فحاولت أن تخفف الأمور: «كنت سأكون بخير لو لم يعبث معنا ذلك الكنغر اللعين. كيف حال الراقصة؟».

وأدارت رأسها بقلق.

أكد لها آش بقليل من الخشونة: «لم تصب بأذى. إنها قلقة بقدر قلقي بأن تكوني قد أصبت بكسور».

ركزت عينيها على السماء الزرقاء بعيداً عن اللهفة الحارقة التي بدت في تعابير وجهه: «أنا بخير.. أنا مقطوعة الأنفاس قليلاً، وهذا كل شيء.. كل هذه الأشياء خففت من وقوعي».

وأخذت تنتزع الزهور الزهرية اللون عنها.

قال محذراً: «ستتألمين في مكان ما».

ـ دون شك.

انفجر بقوة وكأنه سيواجه كارثة: «أكره أن أراك هكذا، وتعرفين هذا».

بقيت مستلقية بهدوء: «أستطيع أن أرى هذا آش».

قال مقطباً: «من المفترض أن تعتني بنفسك».

ـ انظر.. لم أصب بأذى.. لقد كانت السقطة خفيفة.

ولا تزال قادرة على الضحك.

ـ حاولي الجلوس.

ودس يداً تحت ظهرها، وتعبيره مشدود.

احتجت بشيء من التحدي: «اسمع.. لقد وقعت كثيراً عن ظهر الجياد في حياتي. وأراهن أنك أنت أيضاً وقعت».

قال بصوت متكسر: «لا أريد أن أراك تتحايلين.. أنت لست فارسة بارعة».

ونظر إليها متجهماً، وأدرك على غير عادة أنه متوتر. فقد جاء دوره ليعيد اكتشاف ماذا تعني العناية بالغير.. فخلال لحظة وبينما كانت كريستي والفرس طائرتين في الهواء عرف الرعب الأعمى. وقالت له خبرته إنها ستقع. ولا يلزم الكثير ليكسر أحدهم عنقه. واستعاد في ذاكرته مأساة عائلته بوضوح. فالدفاعات التي جهد في بنائها عبر سنوات طويلة، أوشكت أن تتدمر.. فهل هذا ما يريده؟ أن يحب امرأة ويعيش مع النسيان؟

نظرت كريستي إلى وجهه المتلهف الديناميكي، وقالت بلطف: «أنت تجعل من الحبة قبة يا آش. أنا بخير، كنت قلقة على «الراقصة»».

ـ أنت مدينة لي بأن تعتني بنفسك إلى أقصى حدّ.

ـ أعرف، وأنا آسفة. كان كل شيء يسير على ما يرام لولا أن الراقصة أجفلت.

ـ الجياد تجفل بسهولة، وتعرفين هذا.

ومرر يداً ترتجف على جسمها، وهو لا يزال مقطباً.

وعرفت كريستي أن عليها أن تقف على قدميها، لتثبت له أن لا شيء مكسور فيها، وأنها يمكن أن تتحرك بحرية.

ما إن وقفت حتى ابتسمت له وأحست أنها تغرق حباً به: «هاك.. آش؟».

وأخذها بين ذراعيه، يحاول فرض سيطرة كاملة على أعصابه المحترقة.

قال آمراً: «عديني بألاّ تقومي بأي قفزة دون ارتداء خوذة واقية، وليس قبعة.. وكوني واثقة من معرفتك بتضاريس الأرض».

رفعت وجهها إليه، لا تعي شيئاً حولها عداه: «بكل تأكيد».

شيء ما تبدل في علاقتهما غير المرئية. فأمام الوالدين والعمال كان آش يعاملها كواحدة من «العائلة».. ربما ابنة عم صغرى. وها هو الآن يخرج إلى العلن.. ربما قدمت لها الفرس في رميها لها منّة كبيرة.

قال آش وهو يمسك يدها ويقودها نحو البحيرة: «الذي شيء لك».

ـ هذا تفكير طيب منك. ما هو؟

ولم تستطع إبعاد الإثارة عن صوتها، أو منع أصابعها من الارتجاف بين أصابعه.

وكان آش يستعيد سيطرته الآن، ويستعيد ثقته بذاته: «أرجو أن يعجبك. لكن لا يجب أن يكون مفاجأة كبيرة».

ـ الآن أثرت اهتمامي جداً.

كانت تشعر بألم خفيف في رأسها.

ـ أليست هذه بقعة حلوة؟ إنها كالجنة. زنابق الماء رائعة ولم أكن أعرف أنها موجودة بأعداد كبيرة، أو كم هي حلوة حين تعطر الجو. وأنا أخطط لأعود إلى هنا حتى ولو أقمت خيمة خاصة بي.

ولم يكن هذا أكثر من حديث متوتر، لكن وهي تلتقي عينيه، علقت بقية كلماتها في حلقها.

أمسك آش يدها، ورفعها إلى فمه. وكان تركيزه على ما يفعل قوياً. ويدها لا تزال أسيرة يده، دس خاتم خطوبة في إصبعها، فسرت بينهما رعشات مفاجئة.

ـ أقدم لك هذا الخاتم كريستي وأنا أعرف أنك إذا قبلت به فستجعليني رجلاً فخوراً.

أحست أن مشاعرها قد اندفعت إلى حد التطرف، وأن قلبها يكاد ينكسر، وغشيت الدموع عينيها. لكنها لم تستطع النطق بكلمة.

تمتم آش: «يبدو لي أنه يجب أن أعانقك».

وأحنى رأسه الأسود، وعانقها حتى لم تعد قادرة على الكلام، أو على

التنفس. ولم يحاول أن يخفي مشاعره الملتهبة: «افهمي أنني أريدك. أحتاج إليك، أحتاج أن تكوني لي إلى الأبد».

نظرت كريستي إلى أصابعهما المتشابكة، أصابعه قوية ولينة وعميقة السمرة. وأصابعها، بالمقارنة، بيضاء كالثلج. . وقالت بصوت منخفض: «هذا شيء لم أكن أتوقعه آش. . نحن نعرف بعضنا منذ مدة قصيرة. . وكأن هذا قفزة من فوق حافة الصخور».

ـ وسأقفز من فوق الصخور من أجلك ومن دون تردد.

ولانت عيناء السوداوان الجميلتان بابتسامة ناعمة: «يمكنك أخذ ما تشائين من وقت لتفكري، ربما الليلة».

نظرت إليه بعينين خضراوين كبيرتين: «مشعوذ!».

ـ لم تقولي لي إنه يعجبك.

ورفع يدها يراقب وميض الحجر الكريم الأنيق.

ـ أنا لم أرَ من قبل خاتماً جميلاً بشكل مذهل مثل هذا في حياتي.

ـ إنه مثلك. . ومع لون عينيك، كان يجب أن يكون من الزمرد الأخضر.

في الواقع كان الخاتم مصنوعاً من زمردة كولومبية مربعة الشكل تحيط بها حبات الماس لامعة.

وظنت كريستي أن ساقيها ستنهاران. فقد كانت مشاعرهما المتبادلة تطوف كالعاصفة حولهما. ولم يقل أبداً إنه يحبها، حتى في تلك اللحظة، شيء ما كان يمنعه من تشكيل الكلمات. . كل شيء آخر فعله، كان يغرقها بإحساس أنه يحبها. يحبها كما لم يحبها أحد من قبل. وبدأت تبكي.

ـ حبيبتي كريستي، لا. . أرجوك لا تبكي!

وخرجت الكلمات منه بقوة، تنبيء بإمكانيات لا حد لها: «هذه حياتنا الجديدة».

وأحنى رأسه مجدداً ليعانقها: «لا تخافي. . لن أخذلك أبداً. . وهذا وعد مقدس. ولديك الكثير لتعطيني، وكل ما أملك هو لك».

وكان هذا أبعد بكثير من حدود أي زواج، وأحست كريستي بالذهول. في الواقع، كلمات آش، كادت تخنقها. وأخذ قلبها يضرب بتناغم مع صدح الطيور التي كانت تدخل وتخرج من أشجار ذلك المكان الساحر.

ـ وهل ستتمكن من الوثوق بي؟

إن فشلهما يعني الضياع بالنسبة لها.

وفي ثانية من الزمن، تحول وجهه المشدود إلى الاكتئاب.

ـ أنا أثق بالروح التي تملكينها كريستي.

ولم يكن قادراً بعد على الاعتراف لها بالوحدة والشوق اللذين تحملهما وكأنهما بئر لا قرار له.

وسبح وجهه أمام عينيها، واحمر وجهها بإحساس ملتهب. إنها قادرة على انتظاره ليقول لها إنه يحبها. رجل بمثل هذه المشاعر المشبوبة المحجوزة في داخله، دفع ثمناً غالياً للحب.

وابتسمت كريستي عبر دموعها: «سأقوم بما في وسعي. . أنا لا أحلم بهذا. . أليس كذلك؟».

ـ لا!

وشدها مجدداً إليه وكأنها لا تقدر بثمن.

ـ هل كنت واثقاً مني إلى حد أنك أحضرت الخاتم؟

وكانت ضحكته عميقة في حلقه: «كنت أعرف أنه يناسبك منذ اللحظة التي وقعت عيناي فيها عليك. وهناك قرطان يماثلانه. وكان هناك عقد، لكن بطريقة ما هربت أمي وأخذته معها. وقد أحاول استرجاعه».

وتسللت الخشونة إلى صوته: «كل قطعة هي ملك لجدتي، والدة أبي. ولقد اختارت أمي بأقوته لخاتم خطوبتها. ولم تتركها خلفها. . لكنها لم تضع خاتمك أبداً، ولم تستعمل كذلك القرطين مع العقد في المناسبات الكبيرة. وإذا كنت تفضلين خاتماً آخر، أو حجراً كريماً آخر، ما عليك سوى أن تقولي. وأريد أن أقول لك إنني أحببت جدتي كثيراً».

رفعت كريستي يدها مترددة لتلمس وجهه الوسيم الأسمر: «لقد

أحببت هذا الخاتم آش. إنه جميل جداً حتى أنه خطف أنفاسي».

أكثر من أي شيء في العالم، كانت تريد حبه. لماذا تشعر بأن والدة آش كانت قاسية الفؤاد؟ ربما تركها لابنها الصغير مزق قلبها. وما من أحد يمكن أن يعرف هذا إلا إذا، وبمعجزة ما، تمكن آش من أن يتكلم مع والدته. فهروب إيف ماكينون من آغوستا، أثر على روح ابنها. وكل ما تريده كريستي الآن هو أن تعوض عن السنوات الضائعة.

بعد هذه التجربة، أحست كريستي بالنشوة لما تبقى من يومها. حتى أن وجود جيما لم يستطع أن يؤثر في فرحها، ولو أنها لم تستطع أن تسبب لجيما صدمة بارتدائها خاتم الخطوبة. فقد قررت هي وآش أن يعلنا الخطوبة رسمياً حين تجتمع العائلة في المنزل.

وضحك آش لهذا دون سخرية: «وسيكون بدء عقد زواجنا».

وعرفت كريستي أن نيكول وبراندن سيبتهجان. وقد تشعر كالبستا بارتياح كبير، ولو أن كريستي متأكدة من أن جوش لم يعترف لها بتورطه معها.. فمن الممكن أن يكون جوش.. ماذا يمكن أن يكون؟ ووجدت كريستي نفسها لا تهتم أبداً، فجوش كان ولد خيالها. وآش هو الرجل الحقيقي، الذي يحمل هالة السلطة.

انتظرت جيما إلى ما بعد العشاء لإطلاق صواريخها، وإحساسها بالنصر غير مستور. وربما لم تكن تعي أن آش يعرف ما كانت على وشك أن تقوله له؟ كانت ستغادر في اليوم التالي، وسيأتي والدها بطائرته ليأخذها. لكن قبل أن تغادر سوف تسبب بعض المتاعب لكريستي باركر التي تجلس على مائدة العشاء بفستان جميل جداً ووجهها كله ابتسامات.

كانت كريستي تبدو مشعة. وأرسلت الغيرة رجفات باردة كالثلج على ظهر جيما. ما الجديد الذي حدث لجعل كريستي تبدو مثيرة من الداخل؟ إنها محتالة، مخادعة، إنها في آغوستا تحت ادعاء مزيف. وبالتأكيد لا تعرف تلك شيئاً عن ماضيها؟ وإلاّ ما كانت لتسمح لهذه المحتالة بأن ترعى ولديها.

بدأت جيما بالقول ما إن استطاعت: «ما أحاول حل لغزه. هو كيف

مررت حيلتك علينا جميعاً كريستي؟».

سألها آش ببرود: «ماذا تحاولين الوصول إليه جيما؟».

وابتلعت جيما جرعة كبيرة من العصير: «أنا لا أريد حقاً أن أكدرك يهذا آش. لكن، هل كنت تعرف أن كريستي هذه تعيش حياة مزدوجة؟».

مال آش إلى الخلف في مقعده المرتفع الظهر، وعيناه اللامعتان تضيقان: «هيا، قولي ما تريدين.. وأتساءل كم سيطول الأمر معك».

صمتت جيما للحظة: «ما.. ما.. ماذا؟».

ما من أحد على الإطلاق يمكن أن يبدو مخيفاً مثل آش حين يريد.

ومال إلى الأمام ليفرقع بإصبعيه: «لست بحاجة لأن تكوني عبقرية لتعرفي، فأنت وأمك خصصتما بعض الوقت والجهد للتدقيق بأمر كريستي.. هذا هو الأمر.. أليس كذلك؟».

قالت جيما، وهي تمد يدها إليه وفي عينيها اهتمام كبير: «هذا فقط لأننا نهتم لأمرك آش. يبدو لنا وكأن كريستي خططت لكل هذا».

وتكلمت كريستي لأول مرة، وهي تتفرس بالمرأة الأخرى التي تواجهها: «ما كل هذا؟».

وتغيرت لغة جسم جيما بالكامل، ومالت إلى الأمام وكأنها تريد أن تقفز من فوق الطاولة، وعيناها تشعان بمشاعرها البدائية: «أنا متأكدة تماماً من أن نك ويراندن لا يعرفان شيئاً عن ماضيك، هذا عدا آش».

سأل آش بصوت ناعم مخادع: «هل تقولين إن لكريستي سجلاً إجرامياً؟».

تابعت جيما غير قادرة على ترك الموضوع: «ليس سجلاً إجرامياً، لا. لكنها مخادعة كبيرة.. وأنا لا أحب حقاً أن أقول هذا..».

سألها آش بنعومة، وحاجباه مثل جناحين أسودين فوق عينيه اللامعتين: «لماذا تقولينه إذن؟».

جرجرت جيما عينيها عن كريستي لتحدق إليه: «لقد جاءت كريستي باركر إلى هنا بادعاء مزيف. وأعرف أنك ستجد هذا صعب التصديق. فأنا

وجدته هكذا، وكذلك أمي. لكن كريستي كانت متورطة بشكل جدي مع..».

وأطرقت جيما برأسها وعضت شفتها، ثم أنهت كلامها بصوت هامس: «مع زوج كاليستا».

قال آش متشدقاً، وبعفوية تقريباً: «وهل هذا كل شيء؟».

نظرت جيما إليه وكأنه جن فجأة: «يا إلهي! أوليس هذا كافياً؟ ما من أحد كان يعرفها في حفل الزفاف. لقد سألنا الجميع. أخيراً حصلنا على بعض المعلومات من زميل جوش، قال إن حبيبة جوش السابقة جميلة جداً، وإنه شاهدها لمرة واحدة.. إنها شقراء كان جوش يبقيها لنفسه فقط.. وما من أحد التقى بها، لكنه قال إنه يعتقد أن العلاقة كانت جدية، وجدية جداً».

التوى فم آش سخرية: «كان هذا قبل أن يلتقي كاليستا ويقع في حبها بجنون، وبملايينها».

أحست جيما أن قنبلتها أخفقت بالانفجار: «أعني أن المسألة شائكة جداً.. فماذا كانت تفعل في حفل الاستقبال؟ وماذا تفعل هنا؟ من هي؟».

للحظة، وحين لاحظت تعبير آش القاتم، ظنت كريستي أنه على وشك إطلاق لسانه بالهجوم.. فتدخلت بسرعة، وبصوت لطيف: «جيما.. آش يعرف كل هذا».

حاولت جيما ابتلاع الغصة القاسية التي علقت في حلقها، ولم تستطع: «لا يمكن».

ـ إنه يعرفه، وما أستطيع قوله هو إن هذا ليس من شأنك. فماذا كنت تأملين أن تحققي بقول كل هذا؟ جوش ليس متزوجاً من امرأتين. فقد انتهى كل شيء بيننا، ولقد تزوج المرأة التي أحبها.

احتجت جيما وهي ترتجف بشكل ظاهر: «لا.. ليس الأمر بهذه البساطة.. هناك خدعة ما في مكان ما. وأراهن أن لك لا تعرف شيئاً عن تورطك مع جوش».

قال آش: «أتساءل لماذا لم ترسلي فاكساً لها».

اعترفت جيما دون لباقة، وكأنها تشعر بإحباط لأنها لم تستطع الاتصال لإبلاغ أخبارها: «لست أدري أين هما الآن».

استدار آش إليها وقال بحزم: «اسمعي جيما. إذا كنت تريدين حقاً أن تبقي صديقة، وأنا لا أريد خسارة صداقة عائلتك، فربما يمكن أن تبدأي بعدم التدخل في شؤون عائلتي».

رمشت جيما عينيها بقوة: «لكن هذا ليس من عادتك آش.. أمر غير عادي تماماً.. هذه الفتاة فتنتك.. وأراهن أنها لا تختلف عن أمك».

وركز آش عليها عينين غاضبتين لامعتين: «حسن جداً.. تذرعك بأنك تحاولين المساعدة غير ناجح. وكلانا يعرف لماذا تفعلين هذا».

صاحت جيما، وقد شحب وجهها: «لكنك لا تعرف. أنا أحبك آش. وسأكون لك زوجة جيدة حقاً.. وما لا تحتاج إليه هو امرأة مثلها!».

ورمت يداً كلها حقد عبر الطاولة، كادت تقلب كأس العصير أمامها: «كيف يمكن لامرأة كهذه أن تخصص نفسها لحياة المزرعة؟ إنها لا تعرف شيئاً عنها. كل ما تستطيع فعله هو ركوب الخيل».

قالت كريستي بتواضع: «لقد ولدت وترعرعت في مزرعة. أتعرفين هذا؟».

قال آش بلهجة محذرة: «لماذا لا تبتعدين عن كل هذا جيما؟ أنت لا تحبينني. أنت ترغبين في كل ما لا تستطيعين الحصول عليه».

وقفزت جيما واقفة. وفي صحوة غضبها دفعت المقعد الماهوغوني المحفور الثقيل حتى كاد يقع: «إنها ليست جيدة كفاية لك آش.. ستكون مثل أمك.. وستخنقني!».

أخذ آش نفساً خشناً، ووقف بدوره، بجسمه المهيب، وجبينه مقطّب: «لا أريد سماع المزيد.. وأعني ما أقول».

واستطاعت جيما رؤية عدم جدوى كل هذا في وجهه.. آش لم يحبها أبداً، لكنه يريد هذه الفتاة، وصاحت: «انتظر إلى أن تسمع كاليستا بخبر

خيانتها.. لقد كبرنا معاً. ونحن نهتم ببعضنا، ولا يمكن لهذا أن يضيع. إنها الغريبة بيننا.. ولن تجلب لك شيئاً سوى الحزن والأسى».

وغادرت، وهي تركض من غرفة الطعام، وجسمها النحيل ينحني بارتباك وكأنها ترد ضربات ما.

تنفست كريستي الصعداء، وأراحت رأسها على يدها: «أوه.. يا إلهي! كم أشعر بالأسف عليها».

لكن عيني آش كانتا قاسيتين باردتين: «لا تزعجي نفسك. كان هذا مجرد تمثيلية.. إنها على استعداد لأن تتسبب بمشاكل قدر ما تستطيع».

ـ وماذا ستفعل إذن؟

ـ أعتقد أننا فعلنا ما يلزم.

فجأة فرقع بأصابعه وضرب الطاولة: «بالنسبة لي، نحن مخطوبان منذ اليوم. أعرف أنك كرهت أن تتسببي لجيما بالحرج، فأنت طيبة القلب. لكن كان يجب أن تضعي خاتمك الليلة».

ـ أنا لست قاسية إلى هذا الحد، ولا أريد هذا. إنها تحبك آش.

ـ كما أحببت أنت ديكنز؟

وهز رأسه كأنما يجليه: «لا.. لا.. لا أعني هذا».

قالت كريستي بهدوء: «أظنك عنيته. وأنا منزعجة مثلك آش. لكن ما من أحد سيجعلني أشعر أنني مذنبة، وهذا يشملك. لقد ظننت أنني أحب جوش، وأرى الآن أن ذلك كان واجهة ليس إلاّ. ولقد أظهر جوش نفسه بألوانه الحقيقية بالجري وراء كاليستا. ولطالما كان يريد المال. والآن حصل عليه، وآمل أن تكون كاليستا امرأة بما يكفي لتجعله يلتزم».

* * *

٧ ـ الكلمة المحرمة

كان جوش قد استعاد صحته بشكل ملحوظ منذ تعرضه للوعكة الصحية.. وفي الواقع لم يبدُ يوماً أفضل حالاً. جميل الطلعة كالأطفال، أسمر بسبب الشمس الاستوائية، عيناه برّاقتان، وشعره مسترسل لوّحته الشمس. يرتدي ثياباً فاخرة. جيد الطباع كالعادة، ومهتم بعروسه التي بدت لعيني كريستي المهتمة، مرهقة وخالية من الطاقة. ولم تعد المرأة المشرقة التي كانت يوم عرسها أبداً، فشهر العسل لم يكن مثالياً مع مرض جوش.

قالت كاليستا برنة صوتها الناعم: «لطف منك أن تستضيفنا آش».

ورفعت نظرها إلى ابن عمها تبتسم شاكرة: «لا أعتقد أنني كنت سأتحمل العودة إلى المدينة في وقت قريب.. وكريستي!».

ولم تصدق كاليستا. كانت الشقراء الجميلة التي رأتها يوم عرسها تنتظرهما في منزل المزرعة.. كان يجب أن يحذرها أحد!

ردت كريستي بطريقة ودية: «كيف حالك كاليستا.. من الجميل رؤيتك مجدداً».

وهزت رأسها باتجاه جوش: «جوش!».

ولم تشعر أبداً بالارتباك أو الحرج. وكان خاتم آش معلقاً على صدرها. فبعد بضعة أشهر سيتزوجان والليلة، بعد إعلان خطوبتهما، ستصبح علاقتهما علنية تماماً. وستكون مريحة كثيراً.

كانت كاليستا لا تزال تشع بالدهشة: «لطف منك أن تعتني بالولدين. لا بد أن تك معجبة جداً بك؟».

وحذرت البديهة كاليستا لكي تكون حذرة من كريستي، فهناك قصة لم تسمع بها بعد. وبدا واضحاً كذلك أن سكان المنزل كله، آش ولوني والولدين وبقية العاملات أحبوا كريستي. وبدا أن الجميع ينظر إليها وكأنها السيدة آش ماكينون، لا سمح الله.

قال جوش بلهفة وهو يتفحص تعابير زوجته التي تكاد تكشف أفكارها: «حبيبتي، لماذا لا تصعدين إلى الغرفة وترتاحين قليلاً؟».

وأمسكها من مرفقها استعداداً لمرافقتها، وقال شارحاً للآخرين: «أعتقد أن كاليستا التقطت الجرثومة أيضاً».

وانحنى يقبل جبينها بحنان: «ولم تعد بصحة جيدة منذ ذلك الوقت».

معنوياته الممتازة لم تكن سوى ستار. فقد كان مصدوماً كزوجته لرؤية كريستي في المنزل الكبير، الذي كان كبيراً جداً وعظيماً ويدل على كل ما يفتقده في حياته.

وأراد جوش أن يتحرك، وقد أقلقته طريقة نظر ماكينون إلى كاليستا.

قال آش بتعبير قلق: «هل أنت واثقة من أنك لا تريدين رؤية طبيب كاليستا؟».

قاومت كاليستا لتبدو أكثر نشاطاً: «بالطبع لا. السبب هو السفر. لقد اعتنى جوش عناية رائعة بي. ولم أشعر يوماً أنني مدللة هكذا. لكنني سأذهب وأستلقي إذا كنت لا تمانع.. أريد أن أشعر بالراحة قبل وصول أمي وتك وبراندن. آغوستا أفضل مكان في العالم للإحساس بالأمان».

الأمان؟ هذا مثير للقلق. وفاجأت الكلمة كريستي. فقد كانت تأمل أن تشعر كاليستا بالأمان التام مع زوجها، الذي بدا وكأنه يبذل كل جهده ليدللها..

وصل كاليستا وجوش، بذراعين متشابكين، إلى راحة وخلوة غرفة نوم متسعة حُضرت لهما بينما تابعت كريستي خطتها لتأخذ الولدين في رحلة بالسيارة، وبرفقه مينا كذلك. فهي أفضل من أرشدهم إلى الطريق، لأنها تعرف كل شيء عن الثمار البرية والزهور الصحراوية واستخداماتها الطبية،

وتعرف أفضل البحيرات وممرات المياه، وتستطيع تسمية كل الطيور كبيرها وصغيرها، وتعرف أين تعشش البيغاوات والبوم وطيور البجع.

تقدم آش نحو سيارة الجيب سائراً معهم. وأخذ كريستي جانباً للحظة، بينما جلست مينا والولدان بارتياح داخل المركبة. وسأل: «كاليستا لا تبدو بصحة جيدة.. أليس كذلك؟».

هدأته كريستي: «بعض الناس يتعبون من السفر. وعلى الأرجح أنها ستشعر بحال أفضل بعد الراحة.. لقد فوجئت برؤيتي كثيراً».

ضحك آش: «ولم يجن زوجها لهذا كذلك.. ألا يبدو بصحة جيدة بعد نوبة المرض الأخيرة؟».

وافقت كريستي بجفاء: «هذا صحيح. ربما لم تكن حاله سيئة كما قالوا. كان يمكن للمرض أن يستمر وتنتقل العدوى إلى كاليستا».

ورفعت وجهها نحوه: «يجب أن نقول لهما الحقيقة آش، وكلما أسرعنا، كلما كان أفضل.. أريد الخروج إلى العلن».

ـ أتظنين أنني لا أريد هذا؟ وما هي الحقيقة على أي حال؟ كنت على علاقة قصيرة مع ديكنز. وانتهى كل شيء حين دخلت كاليستا الصورة. ومن الطبيعي أننا لم نستطع ذكر كل هذا يوم العرس.. إذ لم يكن الوقت مناسباً. وأنا أكره الكذب الأبيض كما تكرهينه. لكنه ينفع أحياناً كمانع اجتماعي لأي مشكلة محرجة.

تنهدت كريستي باضطراب: «بالطبع، لكن الأمر سيخرج إلى العلن في النهاية».

تفحصها آش، وهو يشعر بالامتنان لأن وصول ديكنز لم يجعل توازنها يضطرب.. أخيراً انتهى الأمر.

ـ بالنسبة للشرح، اتركي الأمر لي. فأنا أنوي إعلان خطوبتنا بعد العشاء مباشرة. وأنت تريدين هذا، أليس كذلك؟

ـ لقد قمنا بالتزام جاد ببعضنا آش.

ـ لقد فعلنا هذا، ولا شيء سيكدره.

نظرت إليه بجدية: «لا».

معرفتها بآش جديدة لكنها لم تكن هشة، بل قوية، ولم تكن تشك فيه. جسمها يثق به، وكذلك فكرها. لكن هناك أناس آخرين لهم آراء لها وزنها: «لست أدري كيف سيتلقى الآخرون الخبر».

رفع ذقنها، وطبع إصبعه على الشق، ثم عانقها ليجن جنون قلبها: «بصراحة، أنا لا أهتم».

وكانت هذه المرة الأولى التي يعانقها فيها على مرأى من الولدين وميتا، وكان هؤلاء ينظرون إليهما بابتهاج ظاهر.

ـ على أي حال، أنت امرأة كثيرة الوساوس.

وكان هناك تحدٍ في عينيه السوداوين.

ـ أتعتقد أنها ستمر بالامتحان؟

ـ حسن جداً، هناك أشياء يجب تسويتها. ولن تكون كاليستا مسرورة لمعرفة زوجها بك، وكتمانه ذلك عنها.

قالت كريستي بقلق: «بالكاد كان يمكنها تفهم هذا كله يوم العرس.. وفي السياق ذاته، ما من أحد توصل إلى معرفة سبب وجودي هناك».

قال آش بجدية رائعة: «أنا دعوتك.. لم يكن لدي خيار سوى اختراع عذر لتجنب الأذى غير الضروري.. ويمكن للجميع تقبل هذا دون محاولة حل لغزه. لقد دعوتك إلى حفل الزفاف وكنا قد التقينا ولو في بريزبان في مؤتمر لأصحاب مزارع الماشية في وقت ما. كنت تقومين بعمل علاقات عامة في الفندق. ووقعنا في الحب من أول نظرة ولم أستطع إبعادك عن تفكيري وكان يجب أن أحصل عليك».

بدأت نبضات صغيرة تنبض في داخلها، وكأنها أشواك نارية صغيرة.

قال: «أتظنين أنني أحب أن أعيش معك دون أن أريدك؟ لكنني أعطيتك وعداً أنك ستكونين آمنة تماماً. والآن نحن بالطبع مخطوبان.. والولدان سيعودان إلى ديارهما.. فمن لا يستطيع الوقوع في حبك كريستي؟».

ما إن ينظر إليها بهذه الطريقة حتى يتقلص العالم من حولها ويختصر في شخصه فقط. احمر خدا كريستي ليصبحا بلون الدم. وهمست، وقد بدأت بذرة الأمل في داخلها تزهر: «وأنت كذلك».

كان الولدان يقفزان صعوداً ونزولاً في سيارة الجيب، غير قادرين على استيعاب إثارتهما. وصاحا بصوت واحد، وهما يمدان جسميهما إلى الأمام ويلوحان بأيديهما: «رأيناك تعانق كريستي».

داعب آش إحدى خصل شعر كايتي: «لقد لاحظتما إذن».

ضحكت كايتي ضحكة عريضة: «كانت عظيمة! سنقول لماما وبابا».

أمسك آش يديها الصغيرتين، ومال إلى داخل سيارة الجيب: «حسناً! اسمعا الآن. سيبقى هذا سراً حتى يوم الغد. هل أستطيع أن أحصل على وعد منكما؟».

ونظر بجدية إلى عيونهما الواسعة.

سأل كيت: «سرّنا جميعاً؟».

أكد له آش مبقياً يداً على كل منهما: «سرنا».

وعدت كايتي بوقار: «إذن سنبقيه مكتوماً».

والتفتت إلى أخيها الأصغر: «ألن تفعل هذا كيت؟».

وكان كيت يركز بقوة على هذا، وأخيراً قال: «من الجيد أن أنكما عانقتما بعضكما. هذا يعني أنكما ستحبان بعضكما إلى أبد الآبدين».

وامتلأ قلب كريستي بمشاعر جعلتها تشعر بميل إلى البكاء لكنها بدلاً من ذلك مدت يدها ولامست خد كيت الدافىء الناعم.

ورد آش عليهما، مستخدماً رنة صوت حنونة.. وأدركت كريستي بإحساس عميق أنها لم تسمعه يستخدم هذه الرنة من قبل. وقال: «حتى نهاية العالم».

اهتاج الولدان جذلاً حين لمحا والديهما وهما يلوحان من النافذة المستديرة للطائرة. وسارت طائرة «السيسنا» فوق المدرج وتوقفت على مسافة من الخطيرة الرئيسية. وبقيت كاليستا في البيت مع جوش، لأنها

كانت لا تزال تشعر بالتعب. لكن كريستي رافقت آش والولدين إلى مدرج الطائرات في الوقت المحدد لترى طائرة «السيسنا» تحمل والدة كاليستا، مرسيدس، ووالدي الولدين.

وكان هناك الكثير من العناق والقبل، وبضع دموع من نيكول التي اشتاقت إلى ولديها الحبيبين حتى وهي تتمتع مع براندن بعطلتهما التي كانت حلوة جداً، ومليئة بالحب والدفء. وكان براندن يقول يومياً: «شهر عسل ثان». فكل النار القديمة عادت إلى علاقتهما، وبدأت نيكول تنظر إلى الحياة بطريقة جديدة. صحيح أن لا شيء خفف من خسارتها لطفلها، لكن، لديها زوجاً رائعاً وولدين محبوبين يشاركونها حياتها. وأدركت أن الله أنعم عليها بالكثير. وكانت مرسيدس قد جاءت بالكثير من المتاع لفترة إقامة قصيرة. وأمر آش أحد العمال أن يوصلها إلى المنزل، فقد كانت متلهفة جداً لرؤية ابنتها. وصعد البقية في سيارة الجيب.

قالت نيكول مبتسمة بارتياح: «لا نستطيع شكرك بما يكفي كريستي، لرعايتك ولدينا بمثل هذه الطريقة الجميلة».

وكان هذا في طريق العودة إلى المنزل، وبعد أن استمعت نيكول وبراندن إلى حديث الولدين عن كل الأشياء الرائعة التي فعلاها.

ردت كريستي الابتسامة: «كان هذا من دواعي سعادتي. لقد أحببت رفقتهما».

نظر كيت، وهو على ركبتي أمه، إلى كريستي بوقار، ليجعلها تعرف أنه لن يقول شيئاً عن سرهم: «نحن صديقان حقيقيان».

ضحكت كريستي: «هذا صحيح».

قالت نيكول بصوت سعيد: «ونحن جئنا لكم بالهدايا».

تنهد براندن: «يا للسماء.. هل لدينا هدايا؟ أعرف.. لأنني اضطررت إلى شراء حقيبة أخرى لأحضرها إلى البيت».

سألت نيكول كريستي: «وكاليستا وجوش، هل هما في المنزل؟ من المؤسف حقاً أن يمرض جوش».

قال آش بنعومة: «لقد تخلص من مرضه الآن. وأنا قلق على كاليستا لأنها لا تبدو بصحة جيدة».

أصبح تعبير نيكول الخالي من الهم، جاداً: «لا بد أنها التقطته منه. على أي حال كلنا هنا الآن لنهبهجها».

سأل آش بجفاء: «وهل يحتاج أحد لمن يبهجه وهو بالكاد وصل إلى بيته من شهر العسل؟ يجب أن أقول إنكما تبدوان رائعين».

احمر وجه نيكول: «كان وقت راحة رائعاً.. وكنت بحاجة إليه. وأنا ممتنة كثيراً لكما لجعل هذا يتحقق والآن عدت إلى ولديّ الجميلين».

وضمت نيكول كيت إليها.

قالت كايتي: «لا أستطيع الانتظار لأرى ماذا أحضرت لنا ماما. أنت وبابا يجب أن تريا كل رسوماتنا الجميلة».

عبثت نيكول بشعر ابنتها: «رسومات.. أوه عزيزتي!».

وعدت كريستي: «أعتقد أنك ستدهشين حقاً.. فكل منهما أظهر موهبة حقيقية».

استدار براندن من مقعده الأمامي لينظر إليهم: «كنت جيداً في الرسم في وقت ما».

قالت نيكول تهز رأسها بافتخار: «وما زلت جيداً. لقد ورث الولدان موهبتهما منك. يا ولداي، لقد عرض بابا مرة رسوماته في معرض للصور؟».

سألت كايت: «ولماذا توقف؟».

رد براندن شارحاً: «لأنني كنت مسؤولاً عن عائلتي. وأنا مهندس حبيبتي، وهذه مهنتي. وترضي روحي الفنية».

بعد ساعات من هذا كانت كريستي تعتني بارتداء ليابها، حين سمعت قرعاً على باب غرفتها. وتقدمت نحوه آملة أن يكون آش، وبدلاً من ذلك وجدت مرسيدس تقف في الخارج، وهي تبدو مهيبة جداً بجسمها الأنيق وزيها الكحلي الحريري، فيما زيّن عنقها عقد من اللؤلؤ المستخرج من بحر

الجنوب، وهو علامتها المميزة.

ـ هل لي بالدخول عزيزتي؟

وبدت حازمة، وكأنها ستدخل بغض النظر عما ستقوله كريستي.

تراجعت كريستي إلى الوراء: «بكل تأكيد سيدة ماكينون».

واعتقدت أن الوقت حان لتشرح سبب وجودها في عرس كاليستا: «ألن تجلسي؟».

وأشارت إلى مقعد عميق ومريح.

قالت مرسيدس كأنها تخاطب المقعد: «أفضل أن أقف عزيزتي، إذا كنت لا تمانعين. لن ألف وأدور، فهذه ليست طريقتي. لكنني تلقيت عدة مخابرات هاتفية مزعجة من جيما ميلنرهيل».

وأحست كريستي بالحرارة في وجهها: «يبدو أنها غير قادرة على الاهتمام بشؤونها الخاصة».

ـ لكن هذا من شأني عزيزتي.

وتحول تعبير وجهها إلى الصدمة والانتقاد: «في الواقع، يبدو أنك وجوش، زوج ابنتي، تعرفان بعضكما جيداً.. فهل تمانعين بإطلاعي على الأمر؟».

هزت كريستي كتفيها، وهي تجلس في المقعد المقابل: «أنا نادمة بعمق على هذه الخدعة سيدة ماكينون. لكن، لم يكن الوقت مناسباً لذكر هذا الموضوع في العرس، خاصة وأن جوش لم يذكر هذا من قبل. الواقع أن جوش وأنا كنا على علاقة قصيرة لم تسفر عن شيء، لم نكن متناسبين. وانتهى الأمر قبل أن تظهر كاليستا على المسرح».

نظرت إليها مرسيدس نظرة ارتياب مترفعة: «يا عزيزتي.. أنا لست سعيدة بهذا الشرح».

ـ وما هو الشرح الذي قد يسعدك سيدة ماكينون؟ أنا لا أعني أيّ وقاحة، فآخر شيء أريد أن أفعله هو إزعاجك وإزعاج كاليستا.

ولم تستطع مرسيدس إخفاء اللهفة من صوتها: «هذا صحيح.. أليس

كذلك؟».

ـ لقد كنت صادقة تماماً حين قلت هذا.

سألتها مرسيدس، تريد المزيد من التوضيح: «لماذا دعاك آش إلى هنا؟ كنت أعتقد أنه يقول لي كل شيء».

ـ ربما يمكنك سؤاله.

ـ المرء لا..

وترددت مرسيدس.

وأكملت كريستي: «لا يستطيع الضغط على آش؟».

ردت مرسيدس بحدة: «أنا لا أضغط عليه في شؤونه الخاصة».

حاولت كريستي طمأنتها: «أنا واثقة تماماً من أنه سيخبرك بالأمر.. ما الذي يجعلك خائفة؟ ألا يمكن أن تقولي لي؟».

واختفت نظرة الحزن عن وجه مرسيدس وقالت: «تحتاج كاليستا ببأس لهذا الزواج، فهي تحب جوش بعمق. ولقد أفهمتني جيما أنك تخططين لنوع من الإزعاج».

ـ بالتأكيد ليس لكاليستا، أعدك بهذا سيدة ماكينون.. لقد انتقلت إلى الأمام بحياتي، وليس لجوش ديكنز أي مكان فيها.

ـ لكن، بالتأكيد عزيزتي، كان مقرباً منك في يوم ما؟

ـ لقد كان.. لكن الناس ينفصلون عن بعضهم كل يوم، وأتصور أن جوش لم يخبر كاليستا بهذا الأمر، لأنه لم يرغب في إزعاجها.

وعاد العبوس إلى جبين مرسيدس: «ربما لا يزال جوش يهتم بك؟ أنت فتاة جميلة، ولك أخلاق فاتنة. هل يمكن لأي منكما أن يضع مشاعره بسهولة خلفه؟».

ـ بالنسبة لي، بكل تأكيد. وأنا لست نادمة على معرفتي لجوش. لكنني أؤكد لك أني لا أهتم به الآن. لقد انتهى كل شيء، هذا إذا كان يوماً موجوداً.. جيما كانت تقصد بوضوح افتعال المشاكل، فلم تعجبها إقامتي هنا. ولم يعجبها واقع أن آش وأنا أصبحنا قريبين.

صاحت مرسيدس وكأن شيئاً فظيعاً حدث: «قريبان؟ لكن يا عزيزتي، بالكاد تسنى لكما الوقت».

ابتسمت كريستي بلطف: «وقت كافٍ. وأنا آسفة لأنك عرفت من جيما أنني وجوش كنا يوماً صديقين، سيدة ماكينون. فمن الواضح أنها شوهت المسألة تشويهاً مريعاً».

تمتمت مرسيدس: «لكنك كنت ستتكلمين عن الأمر عزيزتي».

ونظرت إلى كريستي بارتياب قلق، فهزت كريستي رأسها: «لقد أردت هذا بقوة.. لكن الوقت لم يكن مناسباً أبداً».

هزت مرسيدس رأسها بخشونة: «هذا صحيح. وأعتقد أن هذا أحد الأوقات التي لا يستطيع فيها المرء الخوض في العمق».

وتنهدت مرسيدس: «والآن.. لماذا أصدقك؟ أنا لا أعرفك أبداً، وقد عرفت جيما طوال حياتها».

ـ ألا تظنين أن السبب هو أن جيما تمر في وقت صعب؟ كان لها علاقة بآش، لكن كل شيء كان وليد دماغها. ولا حاجة لأن يكون المرء محرباً ليعرف أن هدفها تشويه سمعتي.

حركت مرسيدس يدها بعنف: «لكن آش لم يلمح لنا عن أيّ علاقة معك. فهل تقولين لي إن هناك شيء بينكما؟».

ـ أحب أن تسمعي كل شيء من آش سيدة ماكينون، إنه من العائلة، ويحبك ويجب كالسنا كثيراً.

وفي هذا كانتا متفقتين. وسمحت مرسيدس لنفسها أن تبتسم: «كان سنداً رائعاً لنا في الأوقات الجيدة والسيئة.. آه.. حسن جداً عزيزتي..».

وتحركت فجأة لتقف: «.. أرجو ألاّ أكون قد أزعجتك. لكنني اعتقدت ببساطة أن عليّ توضيح الأمور. ولم أظن ولو للحظة واحدة أن جيما قادرة على أن تكون حقودة هكذا، لكن الغيرة تفعل أشياء غريبة بالناس».

وسارت المرأتان إلى الباب وقررت كريستي أن بالإمكان المخاطرة بسؤال: «سيدة ماكينون.. هل تمانعين لو طرحت عليك سؤالاً؟».

هزت مرسيدس رأسها الوقور: «هيا يا عزيزتي».

ـ زوجة شقيق زوجك. إيف، والدة آش، لا بد أنك كنت تعرفينها جيداً.

دهشت مرسيدس للسؤال ولدقيقة لم تقل شيئاً.. ثم اعترفت: «هذا صحيح. كانت مخلوقة فاتنة، لكنها غير مناسبة لحياة المزارع أبداً. ما كان يجب أن يتزوجا.. لكنهما وقعا في الحب».

ـ كان لرحيلها تأثير عميق على آش.

وافقت مرسيدس على الفور: «بالطبع! كان آش قد جعل من والده مثله الأعلى. لقد كان تشارلز رجلاً رائعاً.. لكن آش أحب أمه بطريقة مختلفة. كانت كأشعة الشمس، ولطالما أبقت آش سعيداً ضاحكاً. كانت شخصاً دافئاً جداً، محبة، ومعبرة عن عواطفها، ولم يكن تشارلز هكذا. لقد تربى ليؤمن أن الرجل يجب أن يتصرف بطريقة محددة، بنظام وسلطة. ولم يكن يمزح، إذا كنت تعرفين ما أعني. بينما كانت إيف مليئة بالمرح.. وكان تشارلز فخوراً بآش، فهو الابن والوريث لكن لم تكن العلاقة بينهما سهلة ورائعة كتلك العلاقة التي تظهر بين الأم وابنها».

وأحست كريستي أنها عرفت شيئاً لم تكن تتوقعه أبداً.

ـ إذن، لماذا تركته، وفي سن مبكرة؟

قالت مرسيدس بجرأة: «كانت حاملاً يا عزيزتي، وإذا لم تعرفي هذا من قبل فقد عرفته الآن. وقد حصل ذلك في لحظة جنون، كان فيها تشارلز غائباً. وبالطبع، لقد أحبها الدون من أول نظرة، ويمكن أن أعذره، لكن بطريقة ما كان المسكين ضحية الظروف، مثل إيف تماماً. لأنه حين زار آغوستا في رحلة عمل، لم يكن يتوقع رؤية امرأة مثل إيف. وفي النهاية اختطفها، لكن تشارلز رفض تسليمها ابنه. فقد كانت إيف الفريق المذنب وتشارلز رجل قوي وله نفوذ، ولم يكن هناك مجال لأن تحصل على حق الحضانة لآش. وظنت أنها ستتمكن من رؤيته دائماً، لكن آش جعل هذا أمراً مستحيلاً.. كان الغضب ينضح منه تلك الأيام، وتعاظم غضبه وكبر.

كان يضع اللوم بالكامل على أمه لتحطم الزواج».

قالت كريستي بضعف: «إنها قصة مأساوية».

ـ بالنسبة لتشارلز وآش كانت قاسية جداً جداً، وبقيت إيف تأمل أن يسامحها آش يوماً، لديه أخ نصف شقيق.. أتعرفين؟

ـ أجل.. أخبرني آش بهذا.

ونظرت إلى عيني مرسيدس الرائعتين: «إذن فهو يثق بك عزيزتي، وهذا له معنى كبير، آش لا يتكلم عن أمه مع أيّ كان. لقد رأيت إيف كثيراً من المرات خلال السنوات الماضية حين كنت مسافرة إلى الخارج. كانت لا تزال جميلة، والدون جعلها سعيدة. لكن ذكرى وليدها الأول لا تزال تطاردها».

وصمتت قليلاً، ثم أكملت: «المفارقة الساخرة أن الدون الصغير يشبه آش في مظهره، فكلاهما له عينا أمه، وتعابيرها المختلفة، ورشاقة جسمها. لكن الدون أكثر مسالمة، وأسهل معشراً، إنه صورة ولادية عن آش، ولا يملك حس القيادة الذي ورثه آش. والدون يرغب كثيراً في مقابلة أخيه، بحيث لن أتعجب لو ظهر في أغوستا في أحد الأيام. والده لا يريده أن يقوم بالاتصال، لكن القصة مختلفة مع إيف. آه.. حسن جداً. الكثير من التغييرات تحصل في الحياة».

وتنهدت مرسيدس: «والآن يجب أن أذهب حقاً.. على فكرة..».

واستدارت نصف استدارة إلى كريستي ولأول مرة بدت السعادة على وجهها: «.. هذا فستان جميل غير عادي.. لكنني لا أستطيع ارتداء مثل هذا حتى ولو كنت فتاة صغيرة. فأنا طويلة جداً، وضخمة العظام».

ـ أنت امرأة فاتنة جداً سيدة ماكينون.

وكان هذا صحيحاً جداً.

ـ نادني مرسيدس عزيزتي.

وكانت تميل إلى الاعتقاد أن كريستي لا تحتاج سوى للقبول.

ابتسمت كريستي: «هذا لطف كبير منك».

ـ لو سألتني.. أقول إن لدى آش مفاجأة سيطلعنا عليها جميعاً الليلة.

طوال حفلة العشاء العائلية حافظ جوش على توازنه حفاظاً على حياته العزيزة. لن يستطيع إفساد كل شيء الآن، فلديه زوجة لبقة العريكة ومدهشة. في الواقع كان قد التزم بأن ينجح زواجه. لكن قلبه وجسمه، كانا يصرخان لكريستي. وكان عليه تحضير نفسه باستمرار ليحتمل رؤيتها جالسة قبالته على المائدة الضخمة اللماعة الرسمية.

وكان كل شيء رائعاً! كانت المائدة مغطاة بمفارش عاجية مذهبة، وعليها أدوات خزفية صينية بيضاء وذهبية، وأوانٍ فضية، وكؤوس من الكريستال لا بد أنها تساوي الملايين.

جلس ماكينون على رأس الطاولة، وبدا وسيماً بشكل لا يحتمل وذا حضور مذهل. وكان يقود الحديث الذي يدور بإشراق من حوله. ولم يكن أحد يعتقد أن ملك تربية المواشي يستطيع أن يكون محبباً هكذا، ومسترخياً وفاتناً. وكان هذا يشمل كاليستا التي تردّد باستمرار «حبيبي آش» وبلهجة جدية وقوية، مما جعل جوش يشعر أن هناك واحداً من أسرة ماكينون يراقبه من فوق كتفه، ومن الأفضل له أن يعتاد على هذا.

وبينما كان جوش يعتقد أن لا أحد يراقبه، كانت عينا آش السوداوان ترصدان كل شيء. واستطاع أن يرى زوج كاليستا بوضوح مثير، ويقرأ كل أفكاره.. فديكنز غير قادر على إخفاء شعور الحسد والغيرة. حتى أنه ضبطه وهو ينظر إلى سترته. ولا شك أنه كان يتساءل عن نوعيتها وكلفتها. وكان يحصي عدد المرات التي استدارت فيها عينا ديكنز الكئيبتان المسترخيتان نحو كريستي..

في هذه الليلة المميزة، كانت كريستي ترتدي أحد أجمل فساتينها الرائعة، فستان من مختلف ألوان البحر يتماوج من الأخضر ليصل إلى البنفسجي الأحمر.. فتحة الياقة المثلثة تمتد فوق بشرتها العاجية حتى الشق الوردي اللون. ولم يكن آش يريد أن تقع عين أي رجل آخر عليها. وبالتأكيد، ليس عينا ديكنز.

وأحس آش بسعادة كبيرة لمعرفته أن كريستي اتفقت جيداً مع عائلته.

لكن ليس مع كاليستا، كما لاحظ آش، وأحس بالإشفاق لأن كاليستا تشعر أنها مهددة. ربما بدأت تلاحظ كيف تشرد عينا زوجها الجديد باتجاه كريستي. ومن المؤكد أن هذا سيكون له تأثير غير مهدئ عليها. وكاليستا تستحق السعادة. وكم هو آسف لأنها وقعت في حب هذا الرجل، وهذا ما عزز نظريته في أن الحب يجعل الإنسان عاجزاً.

في وقت ما لاحقاً، قدّر آش أن الوقت حان ليسترعي اهتمام ضيوفه. قرع كأسه بالسكين ومال إلى الأمام، فصمت الجميع ومالوا معه، لينظروا إليه مباشرة.

- بوجود كل عائلتي حولي، وأرحب بجوش بيننا. .

واضطر إلى إحناء رأسه نحو جوش.

- لدي أخبار أعرف أنكم كنتم تنتظرونها. لقد اخترت أخيراً عروستي الجميلة. أعرف أنني استعجلتها كثيراً، فأنا في الواقع لم أعطها فرصة لتغير رأيها، لكنني عرفت لحظة وقعت عيناي عليها أنني لن أتركها تفلت من يدي. وبالطبع أنا أتكلم عن كريستين.

واستدار إلى كريستي، يلتقط يدها ويضعها على شفتيه: «لقد جعلتني كريستي فخوراً جداً وسعيداً بقبولها أن تتزوجني. حفلة العشاء العائلية هذه، هي البداية الرسمية لخطوبتنا».

أخرج الخاتم الرائع الذي استعاده من كريستي، من جيبه ودسه في إصبعها النحيل، لتصبح أصابعها كمحبوب اللؤلؤ الزهرية.

وفكرت مرسيدس: يا إلهي، زمردة العائلة! لقد كانت تعرف القصة الكاملة عنها وعن هروب إيف بالعقد.

وبدا أن الجميع قفز واقفاً على الفور يصيحون بابتهاجهم وبهنئهم الجميع ما عدا كاليستا التي بدت بخدين محمرين وعينين لامعتين، تحاول بيأس أن تفهم ما يجري.

وجلس جوش مصدوماً، والإحساس المميت بالخسارة ممزوج بالغضب والحسد يهبط عليه مثل قطار سريع. كيف يمكن أن يحدث هذا؟ كريستي له

إلى الأبد. مع ذلك، ها هو ماكينون يبدو مبتهجاً وكأن كل خططه، كل استراتيجياته قد تحققت. وكانت كريستي تبدو جميلة بشكل يحطم القلب، وجمالها يقطعه كالسكين، ووجهها كان مضيئاً بتوهج عاطفي. وأخذ الجميع يهنئهما ويقبلها، ويشدها إلى العائلة. . وفجأة تدفق نبض غاضب مغثي من جوش كأنه ينزف من جرح عميق. ولم يستطع أن يستوعب الصدمة. وشد على كأسه. . وشد أكثر. . فتحطمت الكأس إلى ثلاث قطع كبيرة، انغرزت إحداها في كفه متسببة بتدفق الدم.

وأشار بجنون، والكلمات تفور من حلقه المسدود: «لا أصدق هذا!».

وانقلب الاهتمام إليه، فما من أحد استطاع أن يتجاهل كلماته أو تعبيره.

توسلت كريستي برعب مرتجف، دون أن تعي التوتر الشديد الذي أصاب آش: «جوش. . أرجوك. انظر ماذا فعلت ليدك!».

وقالت هذا لتلهي آش، لكن كلامها أتى بنتيجة عكسية. الآن، لم يعد أي منهما يستطيع التهرب من تورطهما. ولم يكن أمام أيّ منهما فرصة لاستعادة وعيه. . الطريقة المألوفة التي نطقت فيها كريستي باسم جوش، والتعبير الذي بدا على وجهها، بالإضافة إلى القلق وخيبة الأمل اللذين أسيء تفسيرهما أنبأت بالكثير.

صاحت كاليستا بتوبة غضب: «أنت تعرفينه. . أليس كذلك؟».

ولم تحاول التقدم إلى زوجها لمساعدته على إيقاف تدفق الدم: «أنت تعرفين زوجي؟».

وفكرت كريستي، لقد حان الوقت.

نظر آش إلى ابنة عمه، والتحذير في عينيه: «لا تكوني مأساوية إلى هذا الحد كاليستا. فهذا ليس بالأمر الرهيب، ولو أنك كان يجب أن تعرفي».

- ومن سيقول لي؟

ووجهت كاليستا غضبها نحو كريستي، ملقية عليها نظرة قاسية لأن أعلاقها الحسنة تبخرت: «لم تقولي لي أنت».

ردت كريستي متكدرة مثل كاليستا: «أنا لست واثقة من أنني مضطرة لإخبارك بالأمر كاليستا. لقد تواعدنا لفترة، لكن كل شيء انتهى حين وقع في حبك».

وكان جرح كاليستا وغضبها واضحين بفظاعة.. قالت وهي مقتنعة: «لقد أحبك. أنت امرأة من النوع الذي يدفع الرجال إلى الجنون».

حاولت مرسيدس يائسة أن تهدىء ابنتها، بأن وضعت ذراعها حولها: «يا فتاتي الحبيبة، أنت تبالغين في رد فعلك».

لكن كاليستا أبعدت أمها بعنف، وأنفاسها تخرج كالهسيس: «طوال الوقت كنت قلقة بشأنك. أشياء صغيرة كانت «تنق» علي باستمرار.. أشياء صغيرة كنت أحاول أن أنساها».

قال آش بصوت هادىء بشكل غير طبيعي: «ربما لم تسمعي ما قاله لتوي كاليستا؟ لقد أعلنا أنا وكريستي خطوبتنا.. ولا أستطيع أن أسمح لك بتصعيب الأمور عليها، ولا أريد كذلك أن أفسد ليلتنا».

وبالرغم من غضبها، لم يكن أمام كاليستا خيار سوى أن تتراجع.

ـ أنا آسفة آش. آسفة جداً، لكن يبدو أنني لا أتمكن من فهم الأمور بطريقة صحيحة.

وأغمضت عينيها وكأنها على وشك أن تقفز من فوق جرف صخري، ثم قفزت فجأة، وبسرعة البرق، وأشارت بإصبعها إلى كريستي: «لا أستطيع منع نفسي من الإحساس أنك بزواجك من هذه الفتاة.. ربما أنت تقوم بعمل قد تندم عليه.. فأنت لا تعرفها منذ وقت طويل».

تراجع آش في كرسيه مقطباً. فمن المفترض أن تكون هذه ليلة احتفال، أفسدها كاليستا وزوجها السيء. مع ذلك، حاول بجهد أن يلطف كلامه لأنه يعرف أن كاليستا تمر بأزمة.

قال بلهجة ملؤها الصفح: «كاليستا.. أعرف أن صحتك ليست جيدة. وهذه ليست مسألة يمكنك التدخل فيها. لكن، أرجوك كفى الآن. بزواجي من كريستي، أفعل ما أريده تماماً».

بدت كاليستا مصدومة، مذلولة، وقد استهلك تظاهرها بالشجاعة قواها، فاستسلمت لطوفان من الدموع، ودفعت كرسيها إلى الوراء، وقد غمرها فظاعة ما قالت: «آسفة آش آسفة، أنا آسفة حقاً».

وأسرعت تخرج من الغرفة، لتقف برهة تنظر فيها إلى زوجها صاحب الشخصية الهشة.

قالت مرسيدس: «فليتقذنا الله!».

إنها لم تمر من قبل بمثل هذه التجربة. لقد كان آش راعياً طيباً لها ولكاليستا.. والآن هذا!

قالت معتذرة: «كاليستا متوعكة فعلاً. ومن الأفضل أن أذهب إليها».

ولحقت بها مرسيدس بطريقة أقل مأساوية. وقد صدمتها فجأة فكرة أن تكون كاليستا حاملاً. ويبدو أن كل شيء اشتعل معاً. المرض، الغثيان، الدموع، والتفجر العاطفي.

سأل آش جوش، وصبره ينفد: «ألن تذهب إلى زوجتك؟».

وكان جوش مشغولاً بضغط منديل براندن الأبيض النظيف على يده المجروحة. وفكر: لقد كان هذا عرضاً رائعاً من كاليستا. وهو لم يكن يعرف أن لديها مثل هذه القدرة.. لكنه رد متوتراً بينما كان الجميع ينظر إليه: «قد لا ترغب في رؤيتي».

ـ في هذه اللحظات، لن أندهش.. ماذا كنت تحاول أن تفعل؟

جلست نيكول وبراندن دونما ارتياح بينما كان جوش يحاول استجماع شتات نفسه. كان يعرف قبل أي شيء أن عليه الدفاع عن نفسه وإلاّ فقد يجد نفسه مرمياً على الطريق، مع حقائبه.

ـ كان إعلانك صدمة لي. هذا كل شيء.

وتحول وجه آش الوسيم إلى الاشمئزاز: «قل لي، ماذا تخطط أن تفعل تالياً؟ هل ستبقى مع كاليستا؟ أتظن هذا؟!».

أجفل جوش للسخرية. في الطابق الأعلى لا بد أن مرسيدس وكاليستا، تطالبان بدمه. وتشوق لبساطة أيام شهر العسل حين كانت كاليستا فيه.

ـ يجب أن أقنع كاليستا أن كريستي لا تعني لي شيئاً.

وأحست كريستي بالقرف، بحيث قالت بشدة: «أيها الحقير..».

وأكمل آش، لأن كريستي لم تسمح لنفسها بالكلمة التالية: «المغفل؟».

إنه فعلاً وصف حقيقي لجوش.

كرر آش السؤال، وهو يقف بحدة عن مقعده: «إذن.. هل ستذهب إلى زوجتك؟».

كان يبدو غاضباً ومهيباً. والقرف يضغط عليه وهو ينظر إلى وجه جوش الجميل، والضعيف: «ما كان يجب أن تقوله هو أنك أنت لا تعني شيئاً لكريستي. أم أنك غير قادر على الاعتراف بهذا حتى لنفسك؟ ومهما فعلت، لا ترتكب غلطة التدخل في شؤون الخاصة. ما من أحد يتلفظ بأي إهانة لكريستي.. إنها خطيبتي، وبعد وقت قصير ستصبح زوجتي.. وإذا كنت ترغب في الأمان والهدوء لحياتك، تذكر هذا».

وكاد جوش يحطم رأسه فوق الطاولة. فقد كان إحباطه عظيماً.. زوجة ماكينون! يا له من حلم مرير! إذن لقد خرجت كريستي منتصرة بعد كل شيء. كريستي.. سيدة كل هذا! أمر لا يصدق، وهو الذي جنى على نفسه..

قال محاولاً أن يبعث ابتسامته الفاترة من الموت: «أعتقد أنني جعلت من نفسي أحمق».

وافق براندن على كلامه باختصار: «هذا صحيح».

وقالت كريستي بلطف: «أعتقد أنك فعلت هذا جوش. لكن هذا ليس أمراً جديداً. والشيء الوحيد الذي يمكن أن ينقذك هو أن كاليستا تحبك فعلاً. وأقترح عليك أن تذهب وتصالحها.. أنا لا أستطيع الإحساس بالغضب منك، إذ يجب أن أحمل لوماً كبيراً.. لكنني لولاك، لما قابلت آش أبداً».

وكان تصريحاً زاد من حزن جوش فوقف على قدميه، وهو يشعر أنه غريب.

سأله آش فجأة، وقد تذكر أن جوش ضيفه: «هل ترغب بأن يلقي أحد نظرة على يدك؟».

أبى براندن المسألة بهزة من رأسه: «إنها لا تحتاج إلى قطب، النزيف يجعلها تبدو أسوأ مما هي فعلاً. لو جئت معي جوش، فسأحضر بعض مضادات الالتهاب والرباط من غرفة المساعدات الأولية».

ابتسم جوش بامتنان: «هذا لطف كبير منك».

كان بالفعل يحتاج لأن يبتعد عن ماكينون، الرجل الذي يوتره بالكامل.

راقبتهما نيكول وهما يذهبان: «إنه فاتن سطحياً».

قال آش: «سطحياً بالضبط».

قالت كريستي تنظر باعتذار في عيني نيكول: «أنا آسفة لأنني لم أستطع أن أخبرك بموقفي مع جوش بالضبط.. فقد كان التوقيت سيئاً جداً».

وبدأت نيكول تفهم الموقف الدقيق: «أجل.. أستطيع فهم هذا.. إذن كنت تعرفينه جيداً؟».

هزت كريستي رأسها الذهبي اللماع، دون أن تنظر إلى وجه آش القاتم، فقد كانت تشعر بغضبه لما يحدث وطعنها هذا كالسكين: «لقد خذلني بطريقة سيئة، فتطفلت على حفل الاستقبال وأنا أنوي إذاعه، لا شيء أكثر. لكن آش أنقذني. وبقدر ما هو صعب عليّ أن أصدقه الآن، فإن قرار جوش الزواج من كاليستا صدمني.. لكن كل شيء كان وهماً».

هزت نيكول رأسها: «هذا يحدث دائماً».

كشرت كريستي: «حسن جداً.. ظننت أن الأمر حقيقي يومها».

قال آش بخشونة: «يمكن وصف ديكنز بالمرتزقة. لقد أحست بهذا منذ البداية. لكنني كنت أعرف أن كاليستا ستتجاوزنا جميعاً لتتزوجه. فهي تحبه؟».

وبدت عليه المرارة. انزعاجه من الأحداث، وخيانة أمه، مشحونة في عظامه.

مدت نيكول يدها متعاطفة إلى يد كريستي: «لا تدعي كلامهم يكدر لبلتك.. فواضح لي أن آش يحتاج إليك كريستي».

وفكرت نيكول: ليتني طفولته.. لكنها لم تجرؤ على قول هذا بصوت مرتفع.

- لا يمكن أن أكون أكثر سعادة من أجلكما. لقد انتظر آش وقتاً طويلاً ليجد الحب الحقيقي. وهو الآن يرى هذا فيك كريستي، وأعرف أننا سنكون أفضل صديقتين.

حاول الجميع جاهداً فيما بعد تجاهل ما حصل، إلا أن كاليستا وجوش أفسدا الأمسية. ومرت ساعة كاملة أصبح بعدها آش وكريستي لوحدهما. وكلاهما كان يعرف أنهما سيواجهان خصاماً. وهو أول خصام لهما، ولقد تأخر قدومه. ولم يستطع آش وهو الرجل السريع الغضب بالرغم من سيطرته على نفسه التي اكتسبها بالقوة، لم يستطع تلطيف التوتر الرهيب في نفسه. وتمنى، وصلى، ألاّ يقول شيئاً يندم عليه.

ووقفت كريستي داخل مكتبته، جميلة جداً، أنثوية جداً، وشفافة. كانت عيناها الخضراوان تلمعان بتيار ذهبي صغير، يكشف معرفتها بمدى التوتر الذي يشعر به. يا الله.. آخر شيء كان يريده هو أن تكون خائفة منه. مع ذلك رآها ترتجف متلهفة بينما كل ما كان يريد أن يفعله، أن يأخذها بين ذراعيه. لكن، بدلاً من ذلك، تجاوزها وأقفل الباب السميك والثقيل، الذي يمكن أن يخنق أي صوت.

قال متأوهاً: «يا لها من أمسية. تعالي واجلسي».

ردت كريستي وهي تشعر أنها تحت ضغط عصبي هائل: «ظننتك ستطرحني أرضاً».

رد باختصار شديد: «لا تكوني سخيفة».

فمع أن سيطرته على نفسه كانت تنهار، إلاّ أنّ مشاعره التي وصلت إلى الهوس، بقيت على حالها نحوها.

قالت تتحداه، دون أن تتحرك من مكانها فوق السجادة الفارسية:

«وهل الأمر سخيف؟».

كان الضوء من الثريا البرونزية يشع كأن ألف شمعة تضيء شعرها الجميل، وأكملت: «هذا الصباح، أحسست أنني مرغوبة، وأنك بحاجة إلي، وقبل أي شيء مفهومة».

- وما الذي تغير؟

لم يكن يعرف كيف يبدو لها. كانت عيناه بسواد الليل، وبدا تعبيره كئيباً ومخيفاً، وهو يقاوم الدوار الذي تصيبه به.

قالت كريستي بصوت متكسر بخيبة الأمل والتوتر الشديد: «جوش وابنة عمك أفسدا كل شيء. لقد بددا ثقتك بي، فلا تنكر، أرى ذلك على وجهك. أنت رجل صعب المراس آش. وبدون الحب في حياتك يمكن أن تصبح من دون رحمة».

كشر بنفاد صبر: «أنا لا أرى هذا أبداً. وما أراه هو قلقك وخيبتك لجرح حبيبك السابق ليده».

وراقب احمرار الذنب على وجهها ورآها تشبك أصابعها.

أحست كريستي بنفسها تفقد كل توازنها: «الآن أنت السخيف. فأنا لم أهتم البتة بجرح جوش ليده.. كنت قلقة عليك.. أنت وطباعك».

وهزه هذا، فما من أحد اتهمه من قبل بسوء الطباع. وسأل بغضب: «وهل رأيت هذا أبداً؟».

ردت: «أعرف أنه موجود فيك، وأنا أراه الآن. لم أفعل شيئاً خاطئاً. غلطتي الوحيدة أنني وقعت ضحية سحر جوش المصطنع.. ولديه سحره أعجبك هذا أم لا».

وأرسل هذا شعلة لامعة من الغيرة في جسمه.

قال بلهجة ساخرة عميقة: «جوش لديه سحرا سحرا يا إلهي.. يجب أن تحتقري هذا الرجل، وأنا أحتقره، ولسبب وجيه. لقد تزوج كاليستا من أجل مالها، وما كان ينويه هو الحفاظ عليك كعشيقة له».

ضربت كريستي قدمها فوق السجادة سخطاً: «كيف تجرؤ على هذا

الكلام؟».

وكان غضبها موجهاً ضدها كذلك، فهي بالطبع تحتقر جوش: «ومن المفترض أن أكون خطيبتك».

وفي حالة عصبية عاطفية، بدأت تشد الخاتم الرائع، وخرج بسهولة. ورمته إليه، وقالت بشراسة: «أنا لست مهتمة بعقد زواجك اللعين.. أريد رجلاً يثق بي بما يكفي.. وأنت لا تملك الثقة. وثقتك المفترضة بي هي بسماكة الورق».

لم يستطع منع نفسه عن الرد: «ما فعلته الليلة لم يساعد في شيء، كلنا رأينا اهتمامك، الذي تقولين الآن إنه كان موجهاً إليّ. لكن كاليستا لم تره هكذا».

ـ هذا مناسب.. قف إلى جانب كاليستا.

وبدا الجرح في صوتها: «عائلتك الغالية.. يا إلهي. سأبقى دائماً دخيلة، فجراحك لم تلتئم بعد يا آش، أتعرف هذا؟».

رد متجهماً: «ربما القلوب المجروحة بشكل سيء لا تشفى أبداً.. لو كنت مكانك لنصحت ديكنز بأن يذهب».

وارتجف صوتها من الصدمة: «إنك غير عادل.. فالوقت لم يكن مناسباً، ولا المكان.. أتعتقد أنني لم أرغب بهذا؟ أنت دعوتهم إلى هنا، وليس أنا. وما كنت سأدعوهم أبداً. فدعهم يصلحون حياتهم.. وإذا كنت تشعر بالغيرة.. فلا داعي للغيرة. فأنا لا أطيق أن أقول هذا مرة أخرى: جوش لا يعني لي شيئاً البتة».

وتعالى الغضب مجدداً في داخله: «إذن، لماذا لم تقولي له هذا؟».

وأحس بالرعب من أن يخسرها. وشعر بالألم في كل مكان، وحتى أطراف أصابعه. إنه يريد السعادة، يريدها. ولن يستطيع ترك كل شيء ينهار. لن يستطيع. لن تذهب إلى أي مكان.. وخطر بباله أنه سيجن، سيجن حباً بها.

تقدم منها وشدها إلى ذراعيه، وانسدل شعرها الأشقر الجميل على

ذراعه، وكان وجهها موارباً.. مع ذلك أخذ يعانقها دون النظر إلى ممانعتها.

وكأنما كان يعانق تمثالاً، فقد تدلت ذراعاها إلى جانبيها، دون أن تسعى إلى عناقه. واستجمع قواه ليتركها.

وكانت شاحبة جداً وعيناها المتعددتا الألوان مملوءتين بالدموع.

تراجع آش مصدوماً بقسوته، ليستند إلى المنضدة الضخمة، وقال معتذراً من أعماق قلبه: «أنا آسف كريستي.. لم أكن أقصد..».

قاطعته كريستي: «بل كنت تقصد. لقد أردت أن تؤلمني.. وفعلت».

كانت كل كلمة منها كمسمار يغرز فيه: «لا.. أرجوك.. لا».

وأمسك يديها، لكنها جذبتهما بعيداً: «كريستي.. أرجوك، أصغي إليّ...».

قالت بصوت بارد: «افتح الباب آش.. فكلانا قال أشياء أعرف أننا سنندم عليها».

توسل إليها ونبضاته تخفق وأعصابه ثائرة: «لا تدعي ما قيل يبقى معك».

ولم يكن راغباً في تركها تذهب، لكن إجبارها أمر لا يستطيع التفكير فيه.. حين عانقها من قبل كانت استجابتها رائعة.. ولم يكن قادراً على تحمل فكرة أنها تخاف منه. لكن يبدو أنها أصبحت تخافه.

في الخارج، كان القمر ساحراً.. وفي الداخل كانت الأنوار مطفأة.

وتحرك آش نحو الباب وأدار المفتاح الثقيل. وبينما كانت تقترب وضع ذراعه حول خصرها: «هل تكرهينني هكذا حقاً؟».

قالت ورأسها منحن: «لا.. بل أحبك يا آش، والله يعرف لماذا».

كان المنزل هادئاً جداً، حتى أن كريستي استطاعت سماع عواء الكلاب المتوحشة من بعيد. صوت بدائي يقبض النفس جعل الشعر على مؤخرة عنقها يقف. فقد رأت الكلاب المتوحشة المسماة (دينغو) في منطقة التلال، وهي حيوانات رائعة، وذكية جداً، لكنها قاتلة بطبيعتها. وتابع الدينغو

أغنيته الحزينة بينما كانت كريستي تدور باضطراب في غرفتها، غير قادرة على الاستقرار. كانت تعتقد أن غضب كاليستا هو الذي كدرها. لكن هذا لم يكن يذكر أمام شجارها مع آش.. ومن المفترض أن تكون هذه ليلة خطوبتها! التي بدأت مشرقة، لتحترق في النهاية كاللهب.

كانت مرسيدس قد أفضت لها بالقول: «أعتقد أنني أستطيع أن أودعك سرّاً صغيراً كريستي. فقد يزيل هذا بعضاً من الكدر ويساعدك على الفهم. تعتقد كاليستا أنها حامل».

وفكرت كريستي في سرها أنه لو تبين أن كاليستا ليست حاملاً، فمن الأفضل أن تترك جوش الآن وهي قادرة على ذلك. وكان من الواضح لكريستي أن رجلاً مثل جوش سيجعل كاليستا تعاني. مع ذلك كاليستا تريده، ولو قال أحد كلمة سيئة عنه، لانفجرت مثل المفرقعات النارية. إنها حياتهما.. وعليهما ترتيبها.

وماذا بشأنها مع آش؟ لقد هزمها تقريباً. وهي تعرف أن غضب كاليستا أزعجه، لكنه أزعجها كذلك.

وكان النوم بعيداً جداً عنها، فقد كانت منهكة جداً.. وهي لم تسكن من قبل في منزل يحوي اثنتي عشرة غرفة نوم، هل ستكون يوماً سيدة كل هذا؟ بعد الليلة، يبدو هذا مشكوكاً فيه. كاليستا وجوش نائمان في الفراش بأمان الآن دون شك. وربما بتصالحان! ما من أحد يعرف أفضل من جوش كيف يؤلف قصة جيدة للتغطية، فلديه الكثير من الخبرة.

وما أثار اهتمام كريستي هو متى حملت كاليستا، هذا إذا كانت حاملاً؟ ولربما كان لكاليستا الصغيرة الحلوة خططاً خاصة بها. وربما كان التخطيط المسبق من عادات هذه العائلة؟

في النهاية أحست بالندم وبدافع قوي جداً لا تستطيع التعامل معه، فخرجت كريستي تفتش عن خطيبها.

كان وقع خطواتها في الخف غير مسموع في المنزل. وكانت تعرف أنه لم ينم بعد، فحتى لو صحا قبل الفجر، لن ينام باكراً أبداً، ويمكنه أن يكتفي

ببضع ساعات من النوم فقط. واستطاعت رؤية النور لا يزال ظاهراً من تحت باب مكتبته، بينما تغرق بقية أرجاء المنزل الكبير في ظلام دامس..

تابعي السير أو تراجعي. خاصة بعد تلك المواجهة.. وتقدمت نحو النور أكثر، ووقفت دون حراك تصغي إلى تنفسها. إنها تحبه كثيراً، لكن الرجل معقد. وتعالى صوت الساعة الكبيرة القديمة من مكان ليس ببعيد في سلسلة من الرنين جعلتها تقفز مجفلة. في الواقع، أخرجت صيحة مكتومة.

فجأة أخذت تتساءل عمّا تفعل، وهي محرومة من الثقة في مركزها في حياة آش. في مثل هذه الليلة من بين الليالي، كانت تريد أن تكون مكرمة، محبوبة. واستدارت كريستي، فقد قررت الهرب إلى أن يبرد غضبهما.. لكن آش خرج من المكتبة، وراح يتحرك بسرعة مذهلة ليلحق بها قبل أن تبتعد بضع خطوات.

- إذن.. جئت إلي؟

وكانت أنفاسه دافئة.. واستدارت بين ذراعيه، واشتعل كل سخط الليلة ناراً.

- لقد أوقعتني في الفخ.

- لا أحد يفلت من فخي، ليس وهو حي.

وضحك من بين أنفاسه ثم رفعها بين ذراعيه كالقرصان.

- لقد انتظرت طويلاً.. أردت أن أكون فارسك.. لقد أردتك كثيراً.

وقاومت مع أنه أقوى منها بكثير: «أنزلني آش.. الأمر متعلق بك وبتاريخك. أنت من دون قلب».

- إذا كنت تظنين أن صبرك نفد مثلي، فلمَ لا تهدئين؟

توسلت: «آش، أرجوك...».

وكانت عاجزة، مشعثة، شعرها الطويل يتدلى.

- لن تتركيني الليلة. ليس بعد أن جئت إلي بمحض إرادتك. في الواقع، لن تتركيني أبداً. فكري بالأمر، أنت وأنا معاً، كل ليلة من حياتنا.

ثارت في داخلها كل أنواع المشاعر ورفعتها إلى قمة لم يسبق لها مثيل، ما بين الإثارة، والحب، والحزن. هذا الرجل يمكن أن يكسر قلبها.

أحست بتيار غامر من المشاعر يقربه، تغمرها رائحته الرجولية، وقوته التي لا تلين. كم تحب جمال العينين اللتين تنظران إلى عينيها. إنه رائع مشرق، صعب المراس، وهي تحبه كثيراً. وكل ذكرى لحياة قبله تبدو ممحية.

تمتم: «أنا آسف على ما مضى، سامحيني».

ـ وأنا آسفة كذلك.

وكم من السهل قول هذا.

ـ بالطبع أثق بك، كانت الغيرة تتكلم، وقد فقدت عقلي، وأنا أريدك منذ ليلة دخلت حفل الاستقبال..

وأحنى رأسه الأسود ليغمرها.

وعرفت أنها همست شيئاً. اسمه، أو لفظة تحبب. لكنها لم تتلفظ بالكلمة المحرمة، «أحبك». وسمعته يهمس: «كريستين.. يا ملاكي».

ولفرح كريستي بدا هذا تذويباً لكل الشكوك. صوته الضخم الرنان كان عميقاً. عيناه السوداوان لم تعودا لغزين مخبئين، بل كشفتا مشاعر عميقة في داخله، مشاعر واسعة من دون حدود مثل قلعته الصحراوية. مع ذلك سمعت كريستي ما قاله من بعيد.

ـ أنت تعرفين يا حبيبتي أن هذا هو الحب.

***

الخاتمة

بعد أربعة أشهر

حفل زفاف ماكينون ـ بارك

حفل الاستقبال في مزرعة آغوستا داونز

جنوب غربي كوينزلاند

قبل عشر دقائق من موعد وصول العروس إلى قاعة الرقص القديمة الجميلة والتي انقلبت إلى معبد عابق بالزهور، سارت امرأة طويلة نحيلة بهدوء وسط ممر الكنيسة، واندست في الصف الأمامي. لم تكن فاتنة الجمال فقط، بل مألوفة بشكل غامض بالنسبة للعديد من الضيوف. بينما عرف آخرون بالضبط من تكون.. إنها إيف اليزابيث ماكينون السابقة، امرأة في أواسط الخمسين، ولا تزال مذهلة الجمال، بجسمها المتمايل الرشيق. كانت ترتدي ثياباً من أرفع طراز، شعرها الأشقر الجميل يلتف «بشينون» عصري، وريشة زرقاء صغيرة تزين رأسها، ولون غطاء رأسها الأنيق يتناسق مع بذلة أنيقة من قطعتين ومع الحذاء في قدميها.

بدت كأنها لا تهتم، ولا تلاحظ، أن الجميع في قاعة الرقص يحدق إليها. وابتسمت إيف للضيوف الجالسين في الصف الأمامي. وكلهم من أسرة ماكينون.. وكلهم حساسون جداً لوجودها. «سلفتها» السابقة مرسيدس، والتي لم تلمها بالكامل، كانت تجلس إلى جانبها لإراحتها

ودعمها.. وكانت تحتاج إلى الراحة والدعم. وهي مدينة بالكثير لمرسيدس التي بدت رائعة في ثوب أزرق فاتح وقبعة زرقاء كبيرة مزينة بشرائط فضية مجدولة. وعلى مسافة صغيرة جلست ابنة مرسيدس، كاليستا، التي بدا من الواضح أنها حامل، لكنها كانت ترتدي بذكاء، فستاناً أصفر حريرياً مع قبعة مزينة بالأوركيديا تلفت النظر. وزوجها الأنيق الملبس إلى جانبها. ومن بين الحاضرين الآخرين، لاحظت إيف وجود امرأة جميلة المظهر بعينين زرقاوين مذهلتين، كانت تنظر إليها بشيء من التشجيع اللطيف.. فهل يمكن أن تكون هذه نيكول؟ وعاد تفكير إيف عشرين سنة إلى الوراء، أو ما يزيد.. بالطبع هذه نيكول الصغيرة وكان زوجها أحد أصحاب آش.

ركزت أيف نظرها بشدة، وهي تحاول السيطرة على مشاعرها، وهذا أمر لم يكن سهلاً، وكان ضعفها شديداً. كان ابنها البكر يقف أمام طاولة المذبح المغطى بالساتان. في أول لقاء بينهما منذ أقل من أربع وعشرين ساعة أفلتت مشاعرها من عقالها، وتصاعد كل حزنها الكبير الذي بقي نائماً تحت واجهتها. ولطالما حملت ذكرياتها.. وحملت الذنب للغلطة الكبيرة التي ارتكبتها بحق زوجها، والضرر الذي ألحقته بابنها. لكن ابنها عاش، ليصبح رجلاً بهي الطلعة في ثياب العرس الرسمية.

وكان آش محاطاً بصديقه، الإشبين، صديق العمر، والإشبينين الآخرين. أصغرهم كان ابن إيف الآخر، دون، الذي طار عقله لأن شقيقه الأكبر لم يرغب بأن يلتقيه وحسب، بل اقترح أن يكون إشبين عرسه. ولمَ لا؟ فبلقاء آش، وجد دون عائلته. ولقد أقنعت إيف نفسها مراراً أنها لن تتحمل أن تصبح مهتاجة، لكن المنظر أمامها كان يهدد بأن يغمرها. واضطرت إلى التفتيش في حقيبتها عن منديل مطرز الأطراف.

آش ودون، ولداها. كلاهما ورثا عنها بعض سماتها، أحدهما ورث العينين والآخر البنية الجسدية التي تنعم بها. ودفعت جسمها إلى الوراء، تستقيم في جلستها. لم يرغب زوجها بأن تقوم بهذه الرحلة الطويلة، ولم يرَ شيئاً يمكن أن تكسبه من محاولة إعادة ماضيها إلى الحياة. لكنها أحست أن

هذه فرصتها الذهبية لإصلاح بعض من الضرر الرهيب الذي تسببت به.. فقدانها للتواصل مع ابنها البكر كان المأساة الأساسية في حياتها. وكانت إيف تعترف بهذا يومياً تقريباً، حتى مع وجود زوج وابن في حياتها.

كان زوجها يسأل بقلق عميق: «لماذا تسلمين نفسك إليهم؟».

لكنه رفض المجيء معها، فهو أيضاً يشعر بالذنب وثقل حمل الماضي.

كانت مرسيدس تعي تماماً حالة مشاعر إيف الساكنة المهتاجة. وبدت لها يداً متعاطفة. لقد كسبت إيف لنفسها مكاناً في عرس آش. لكن مرسيدس كانت تعرف كم من الشجاعة لزم إيف لتصل إلى هنا. العديد من عشيرة ماكينون كانوا لا يزالون معادين لإيف، مع أن اللياقة الاجتماعية كانت تحتم عليهم محاولة إبقاء عدوانيتهم خفية. وبالطبع ما من شيء من هذا كله كان يمكن أن يحدث من دون كريستي. فقد كانت مهندسة كل شيء، إذ اجترحت معجزة في جمع الابن والأم معاً. ولم يحدث هذا بسهولة، بل كان آش صعب الاقناع. لكن كريستي لم تستسلم، وبالطبع آش يحبها. وهذا ما سوى المسألة. لقد قالت كريستي لآش مرات عدة إن من الضروري إصلاح الماضي قبل أن يستطيعا النظر إلى مستقبلهما.

في مؤخرة قاعة الرقص، وبينما كان ضيوف العرس ينتظرون يترقب متلهف، أخذت كريستي ذراع والدها الفخور اليمنى، ودوت الموسيقى الرائعة بقوة عاطفية رفعت معنوياتها إلى السماء..

واستدارت الرؤوس وهي تدخل القاعة. وتفجرت موجات صغيرة من السعادة في الغرفة الكبيرة. وكانت صديقتها كيلي، ضيفة الشرف قد صممت كل الملابس وأزياء الأولاد. ولم تكن كريستي تعرف، لكن قدر ثوب عرسها الرائع كان أن يضع المصممة الشابة على خريطة مصممي الأزياء البارزين. فهو مصنوع من الساتان الفاخر بلون «الماغنوليا» والأورغندزا والدانتيل الذهبي الناعم. كان صدر الفستان مذهلاً، برباطاته المصنوعة من الساتان، فوق تنورة منتفخة كأنها من أرض الخيال، وحمالات مطعمة من الدانتيل الذهبي، تتناسق مع منديل الرأس القصير. بدت كريستي مبالغة

بفستانها الخالي من الرباطات والذي يبرز جمالها بشكل إعجابي، وقد زيّن عنقها عقد انيق من الزمرد والألماس، فيما تدلى من أذنيها قرطان مماثلان. لكن، ما كان أكثر جمالاً بكثير من فستانها وجواهرها التي لا تقدر بثمن، هو الإشعاع الذي تشعر به في داخلها، والذي يتدفق إلى الخارج كأشعة الشمس. كان كل شيء حولها يتكلم عن حبها وفرحها الكبير..

عند المذبح وقف آش أمام الكاهن الذي كان يبتسم له بإشراق. ولم يكن آش ينتظر عروسه فقط، بل أمسك قلبه بيديه. فقد كان معتاداً على كتم مشاعره لفترة طويلة لكن المحبوبة كريستي غيرت كل هذا، بدلت حياته بكل طريقة مفهومة وعلمته طريقة جديدة للحياة. الآن، كان قلبه ينتفخ ترقباً لأول لمحة لها في ثوب عرسها.. لقد حلم بهذا كثيراً، لكن اليوم هو يوم الحقيقة.

وها هي الآن! هذه لحظة فريدة من الزمن يعرف أنه سيحملها معه طوال حياته. وكان كل ما عليه أن يفعله هو أن يمنع نفسه من إحاطتها بذراعيه في التو والحال، ليعانق كل إنش من جمالها. واستطاع أن يرى مشاعره معكوسة في عينيها البراقتين الجميلتين.

ما هو الحب؟ سأل نفسه مرة ودماغه تغشيه الشكوك.. لكنه الآن يعرف الرد. واستدار آش إلى عروسه، وكله حب لها. وخطفت أنفاسه. لقد تحطم قلبه حين تركته أمه. والآن عادت أمه وأخوه نصف الشقيق إلى حياته مرة أخرى، والشكر لفاتنته العطوفة كريستي فهي التي كانت السبب في كل هذا.

كريستي.. كل الجمال في العالم!

همست بفرح: «يا أميري الوسيم».

ـ يا مليكتي.

وكان يمكن أن يموت من أجلها.

كان يعرف أنه يلزمه وقت ليس بالقصير ليعبر لها بالكامل عن حبه العظيم، ولكي يعيد أمه إلى حياته. فلم تكن كل الحواجز القديمة قد

زالت. لكنه عرف بثقة كبيرة، أن كريستي ستحمل له أولاده وأن آخر كلمة على وجه الأرض سيهمس بها هي اسم محبوبته.

* * *